جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم الفلسفة

مذكرة ماستر

الـعلوم الاجتماعية
فلسفة
فلسفة عامة

رقم: .....

إعداد الطالبة:
خمولي نعيمة

يوم:.....

فكرة الإصلاح التربوي عند عبد الحميد ابن باديس

لجنة المناقشة:

العضو 1: د بن سليمان جمال	الرتبة أستاذ محاضر ب	الجامعة: محمد خيضر	رئيسا
العضو 2: د معاريف أحمد	الرتبة أستاذ محاضر ب	الجامعة: محمد خيضر	مشرفا
العضو 3: د حيدوسي الوردي	الرتبة استاذ محاضر أ	الجامعة: محمد خيضر	مناقشا

السنة الجامعية: 2019 – 2020

إهـــــــــداء

أجمل ما في هذه الحياة أن يصل المرء إلى هدفه و يحقق أمنية مكثت في نفسه و يحقق النجاح بجهد و يرضي أعز الناس على قلبه، أهدي ثمرة جهدي:

إلى الإنسان الذي علمني كيف أكون صبورة و طموحة الآمال فهو سندي و موجهي في هذه الدنيا "أبي" حفظه الله و أطال في عمره.

إلى التي أوصى بها الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام، إلى التي علمتني كيف أصل إلى هدفي منبع الحب و الحنان و أغلى إنسانة في هذا الوجود "أمي" حفظها الله و أطال في عمرها.

إلى بهجة عائلتي إخوتي كل باسمه.

إلى أختي و حبيبة قلبي التي كانت دائما مساندة لي في القرح قبل الفرح ميموني وردة.

إلى من أنجبتهم الأيام و كانوا حقا إخوة و أصدقاء أتمنى لهم التوفيق و النجاح.

إلى كل الأهل و الأقارب.

إلى كل من قدم لي يد العون و لو بكلمة طيبة، إلى كل من عرفني و أحبني إلى من وجد في قلبي و لم يكن في صفحتي.

تشكـــــــرات

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله و على آله و أصحابه الطيبين الطاهرين.

في البداية و قبل كل شيء نشكر الله عز وجل شكرا جزيلا ، فهو الذي هدانا العقل لنتوصل به إلى المعرفة و العلم ، و أنعم علينا بالصحة و العافية و وفقنا في إتمام هذه الدراسة و تقديمها على أكمل وجه إن شاء الله، فلله الحمد و الشكر الكثير.

كما أتقدم بجزيل الشكر و الامتنان للأستاذ **أحمد معاريف** الذي وافق بكل تواضع الإشراف على عملي هذا ، فله مني أعظم التقدير و الشكر على ما قدمه لي من مساعدات و توجيهات.

و أتقدم بالشكر و العرفان للأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة على قبولهم لمناقشة هذه الدراسة.

كما لا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من بعيد أو قريب

إلى كل هؤلاء أقول شكرا جزيلا لكم.

قائمة الإختصارت:

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	تعدد الصفحات
ط	طبعة
ع	عدد
مج	مجلد
ج	جزء
م	ميلادي
ه	هجري
د ت ن	دون تاريخ النشر
د د ن	دون دار النشر
د ب ن	دون بلد النشر
د ص	دون صفحة

مقدمة

مقدمة:

عرفت الأمة العربية في فترة من الفترات حالة من الجمود و الانحطاط في مختلف الميادين، و في المقابل عرفت الدول الغربية حالة من التطور و التقدم الشامل، مما جعلها تفكر في غزو الأمم الأخرى و السيطرة على ثرواتها و خيراتها و تحقيق التوسع على حسابها.

من هنا استحوذت الدول الغربية على الدول العربية، مما خلف لها أوضاع جد متدهورة تميزت بالجهل و الفقر و تفكك الأسر داخل المجتمع، و كانت الجزائر من بين الأقطار العربية التي احتلت من طرف فرنسا، و سادت فيها هذه المظاهر التي توحي بالتراجع الوخيم في كل المجالات، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: المجال الاقتصادي و السياسي و كذا المجال التربوي و التعليمي و أيضا المجال الأخلاقي و الديني...، إضافة إلى انتشار البدع و الخرافات و غيرها من المظاهر التي تشوه المجتمع الجزائري.

و نتيجة إلى هذه الأوضاع برز إلى الساحة الفكرية الجزائرية جملة من المفكرين و المصلحين الذين أرادوا تغيير و إصلاح الوضع المعاش، و من بين هؤلاء المفكرين و المصلحين نجد العلامة **"عبد الحميد ابن باديس"** الذي يعد رائد من رواد الإصلاح الإسلامي في الجزائر، حيث وهب نفسه و ماله في سبيل تحرير وطنه و إخراجه من الظلمات إلى النور، و دعى إلى الإصلاح الذي يعني التغيير نحو الأحسن و الأفضل، و ذلك بشرط الحفاظ على المبادئ و القيم الأصيلة لهذا المجتمع، و الذي يحمل لواء العودة إلى الدين الإسلامي و السنة النبوية كأساس ضروري لنجاح العملية الإصلاحية، و كذا تربية أبناء الجزائر على الفطرة الإسلامية و تعليمهم ما تنص عليه، هذا كله ليكوّن جيل متشبع بالدين الصحيح و العقيدة المتينة و بإمكانه التعويل عليه في المحن و الشدائد، و من ثمة يبني مستقبل وطنه و يحقق نهضته.

أسباب الدراسة:

تدور الأسباب التي أدت بنا إلى دراسة هذا الموضوع بين أسباب موضوعية و أخرى ذاتية، و هي:

أولا: الأسباب الموضوعية:

امتلاك عبد الحميد ابن باديس لفكر متميز واقعي ليؤسس لمستقبل أفضل للمجتمع الجزائري.

اكتشاف الوسائل و الأدوات التي استعملها الشيخ في نشر العلم و المعرفة.

التعرف على الطرائق التي استند عليها لتحقيق النهضة و الاستفادة منها.

ثانيا: الأسباب الذاتية:

الميل إلى الفكر العربي و الرغبة في الإطلاع على فكر العلامة عبد الحميد ابن باديس الإصلاحي.

الإعجاب بأفكاره الملامسة للوضع المعاش.

محاولة الاستمداد و النهل من هذا الفكر السخي و الثري و تطبيقه على عصرنا الحالي.

أهمية الدراسة:

حيث تكمن أهمية الدراسة في تبيين العمل الإصلاحي للشيخ عبد الحميد ابن باديس في المجال التربوي و المرامي التي كان يسعى إلى تجسيدها على أرض الواقع، و ذلك من أجل إحداث تغيير جذري نحو الإصلاح و النهضة بالشعب الجزائري.

إشكالية الدراسة:

و قد شغلتنا في مسار هذه الدراسة إشكالية رئيسية تتمثل في:

ما طبيعة المشروع الإصلاحي التربوي الذي حاول أن يقدمه عبد الحميد ابن باديس؟ و ما هي حدود و إمكانيات تحققه و نجاحه؟.

بحيث تمت صياغة الإشكالية الرئيسية من التساؤلات الفرعية الآتية:

كيف كانت أوضاع العصر الذي عاشه ابن باديس؟.

ماهي منطلقات المشروع الإصلاحي الباديسي؟.

على ماذا ركز ابن باديس في نشاطه الإصلاحي التربوي؟.

و للإجابة على هذه التساؤلات بنينا خطة مكونة من:

مقدمة ممنهجة للتعريف بالموضوع المدروس ، و حصرنا موضوعاته التي يتضمنها في ثلاثة فصول محورية احتوى كل فصل على ثلاثة مباحث أساسية، و خاتمة تتضمن أهم النتائج المتوصل إليها من الدراسة.

حيث جاء **الفصل الأول** تحت عنوان **"الخلفية الفكرية للعلامة عبد الحميد ابن باديس"**، عالجنا في المبحث الأول بيبليوغرافيا الشيخ عبد الحميد ابن باديس، و في المبحث الثاني تطرقنا إلى أهم مصادر فكره بصفة عامة، أما في المبحث الثالث درسنا فيه أوضاع المجتمع الجزائري زمن ابن باديس ومعاناته من سياسة المحتل الغاشم.

أما **الفصل الثاني** بعنوان **"الفكر الإصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس"**، تكلمنا في المبحث الأول عن فكرة الإصلاح عند ابن باديس مرورا بالإصلاح عند سابقيه و تأثره بأفكارهم، و في المبحث الثاني حللنا مفهوم الإصلاح عند مصلحنا العلامة ابن باديس، أما بالنسبة للمبحث الثالث وضحنا فيه المنهج الذي سار عليه ابن باديس في عملية الإصلاح.

أما **الفصل الثالث** و الأخير كان بعنوان **"الإصلاح التربوي المضامين و الأهداف"**، و هنا نلمس تجسيد فكرة الإصلاح التربوي لدى ابن باديس، حيث تطرقنا في مبحثه الأول إلى الإصلاح التربوي وذلك على المستوى النظري و أشرنا من خلاله إلى الدين الإسلامي و إلى اللغة العربية والوطن الجزائري، أما المبحث الثاني منه ناقشنا فيه الإصلاح التربوي على المستوى التطبيقي حيث أشرنا فيه إلى فكرة التربية و التعليم و كذا أحقية المرأة في التعليم، و في المبحث الثالث والأخير من هذا الفصل استعرضنا الأهداف و المرامي التي سعى العلامة ابن باديس إلى تحقيقها وبثها على أرض الواقع.

خاتمة.

مناهج الدراسة:

و قد استوجبت طبيعة الدراسة الاعتماد على جملة من المناهج و هي كالآتي:

المنهج التاريخي الوصفي: و ذلك من خلال سرد الأحداث و الوقائع آنذاك.

المنهج التحليلي: ذلك من أجل شرح و تحليل أفكار ابن باديس، و هذا المنهج هو الذي اعتمدنا عليه أكثر في دراستنا.

الدراسات السابقة:

و في دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على جملة من الدراسات السابقة لتتضح لنا الصورة أكثر، نذكر منها:

الإمام عبد الحميد بن باديس و منهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير و الحديث، للباحث عامر علي العرابي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية،1408ه،1409ه.

الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه و مقاصده، للباحث بوحمادو يونس، رسالة ماجستير، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر،2015م،2016م.

موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954،1956م)، للباحث عبد الغفور شريف، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، 2010م،2011م.

الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، للباحث مسعود جباري، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر،2001م،2002م.

المصادر و المراجع:

و من أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها للتعرف أكثر على فكر ابن باديس الإصلاحي التربوي نجد:

أولا: المصادر: من بينها:

آثار عبد الحميد بن باديس.

تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير.

جملة من الجرائد و المجلات التي كتب فيها بن باديس.

ثانيا: المراجع: كثير منها:

تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر.

محمد الصالح الصديق، الإمام الشيخ ابن باديس من آرائه و مواقفه.

عبد العزيز فيلالي، عبد الحميد بن باديس "مرحلة التحصيل و التكوين".

صعوبات الدراسة:

و قد واجهتنا بعض العراقيل و الصعوبات خلال دراستنا هذه متمثلة أساسا في:

صعوبة الاتصال بالمكاتب للحصول على المادة المعرفية بسبب فيروس كورونا.

طول مقالات و محاضرات العلامة عبد الحميد ابن باديس هذا ما أدى إلى صعوبة اختصارها في الميدان التربوي.

تداخل و تضارب الأفكار.

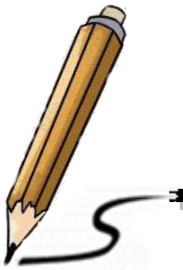

الفصل الأول:
الخلفية الفكرية للعلامة عبد الحميد ابن باديس.

تمهيد الفصل.

المبحث الأول: بيبلوغرافيا الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

المبحث الثاني: مصادر فكره.

المبحث الثالث: أوضاع الجزائر زمن ابن باديس.

خلاصة الفصل.

عرفت الساحة الجزائرية الفكرية العديد من المفكرين و المصلحين الذين خاضوا في القضايا التي تخص الوطن، و كان من بينهم العلامة عبد الحميد ابن باديس، هذا الرجل وهب حياته كلها لخدمة الجزائر و النهوض بها لترتقي إلى مستوى الأمم المتطورة و المتقدمة، و سوف نتحدث في هذا الفصل عن شخصية ابن باديس الفذة، متطرقين إلى سيرة حياته و ذكر أبرز مؤلفاته ثم الولوج إلى المصادر التي اعتمد عليها و استمد منها فكره و من ثمة رصد الأوضاع التي نشأ فيها للتعرف عن البيئة التي عاشها.

المبحث الأول: بيبليوغرافيا الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

أولا : سيرة حياته:

1) مولده:
ولد عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي في ربيع الثاني1308ه– 4 ديسمبر1889م في قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري[1] .

2) أسرته:
أسرة قسنطينية مشهورة بالعلم و الثراء و الجاه و كانت منذ القدم ذات نفوذ و مسيرة للسياسة والحكم في المغرب الإسلامي و نبغ من هذه الأسرة شخصيات تاريخية لامعة، و أمه من أسرة مشهورة في قسنطينة كذلك هي أسرة "عبد الجليل" تدعى زهيرة بن جلول[2]، أما والده يسمى محمد المصطفى بن مكي بن باديس، عرف بالحفاظ على شعائر الدين و الغيرة عليه كان يتعبد بالقرآن خاصة في شهر رمضان[3]، و عضو في المجلس الجزائري الأعلى و المجلس العام[4].

ففي وسط هذه الأسرة العريقة المحافظة الملتزمة بدينها نشأ العلامة عبد الحميد ابن باديس، و في هذا الصدد يقول: "كانت نشأتي إسلامية بفضل انتماء بيتنا و بيوتات أخرى في المدينة المعروفة بتمسكها بالدين الإسلامي، و المحافظة على القيام بشعائره، و الحرص على تنشئة أبنائها على أساس تربية إسلامية و تقاليد أصيلة، و كان الفضل في تكويني الأول لهذه التربية، فقد تكونت في استعدادا خاصا لطلب العلم"[5].

3) تعليمه:
أتم حفظ القرآن الكريم في أول مراحل تعلمه بقسنطينة في السنة الثالثة عشر من عمره على يد الشيخ "محمد المداسي" و قدم لصلاة التراويح بالناس على صغره، وأخذ مبادئ العربية ومبادئ الإسلام على يد شيخه "حمدان لونيسي"[6].

"و لم يلتحق عبد الحميد بن باديس بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت، لأن والده فضل أن يربيه تربية إسلامية خالصة"[7]، وهكذا نجد أن ابن باديس

---

[1] مولود عويمر، أعلام و قضايا، تصدير: أبو القاسم سعد الله،دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2007م، ص:91.
[2] عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، مج1، ج1، ط3، الجزائر، 1997م، ص ص:72-73.
[3] عمار علي العرابي، الإمام عبد الحميد بن باديس و منهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير و الحديث، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1408ه- 1409ه، ص ص:21-22.
[4] عمار طالبي، آثار ابن باديس، مج1، ج1، مرجع سابق، ص:73.
[5] عبد العزيز فيلالي، عبد الحميد بن باديس"مرحلة التحصيل و التكوين"، دار الهدى، ج1، ط1، الجزائر، 2014م، ص ص:37-38.
[6] رندة عبد الكريم العمري و عبد المهدي "محمد سعيد العجلوني"، موقف الإمام ابن باديس من الديموقراطية كوسيلة من وسائل الإصلاح السياسي، مجلة الشارقة للعلوم الشرعية و الدراسات الإسلامية، مج15، ع:1، 2018م، ص:173.
[7] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، ط2، الجزائر، 2003م، ص:30.

كان يتقن القرآن الكريم كله على الرغم من صغر سنه و هو أول ما تلقاه من العلم وهذه كانت رغبة والده.

4) **رحلاته**:

1. رحلة ابن باديس إلى تونس:

تعد هذه الرحلة أول رحلاته و كانت "سنة 1908م التحق الشيخ عبد الحميد بجامعة الزيتونة بتونس، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها و في طليعتهم العلامة "محمد النخلي القيرواني" المتوفى سنة (1342ه-1923م)، و الشيخ "محمد الطاهر ابن عاشور" المتوفي سنة (1393ه-1973م)، فضلا عن مربين آخرين من المشايخ الذين كان لهم تأثير في نمو استعداده كالبشير صفر، و سعد العياض السطايفي، و محمد بن القاضي و غيرهم، و قد سمحت له هذه الفترة بالاطلاع على العلوم الحديثة و على ما يجري في البلدان العربية و الإسلامية من إصلاحات دينية و سياسية..."[1].

و الملاحظ على رحلة ابن باديس إلى تونس أنها كانت رحلة علم و بحث و شغف، و هذا ما وجدناه بارز الأثر في تكوين فكره من خلال مساعدة العلماء له الذين اتصل بهم.

2. رحلة ابن باديس إلى الحجاز:

أما رحلته الثانية كانت "في عام 1913م سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج و الاتصال بعلماء الشرق، فالتقى بأستاذه الشيخ "حمدان لونيسي" الذي صار مدرسا بالمسجد النبوي، و محمد البشير الإبراهيمي، و العالم الكبير الشيخ "حسن أحمد الهندي"، و ألقى دروسا في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم، و لما أراد الاستقرار في الحجاز نصحه الشيخ الهندي بالرجوع إلى الجزائر لخدمة دينه ووطنه"[2]، قائلا: "أرجع إلى وطنك يا بني فأمثالك هنا كثير يغنون عنك و يقومون مقامك، و لكنهم في وطنك قليل، و خدمة الإسلام هناك أجدر بك و أنفع له من بقائك هنا"و لما عزم على الرجوع أخبره شيخه أنه سيرخص له في التدريس، و بمجرد أن عاد إلى مدينة قسنطينة 1914م شرع في التعليم بجد و اجتهاد و نشاط[3].

3. عودة ابن باديس إلى الجزائر:

بعدما "...أنهى عبد الحميد دراسته الجامعية بتونس عام 1912موعاد إلى الجزائر و في نفسه أن يكون في الجزائر ما في غيرها من الأقطار: بأن تكون لها معاهد علمية يجد فيها أبناؤها ما يرحلون لطلبه في تونس أو المغرب أو مصر، و كان الاستعمار قد قضى على معاهدنا العلمية، و أن يكون لها حركة تضمن لها حسن مصيرها كجزء من أجزاء الأمة العربية، و كشعب من أمة الإسلام الكبرى...، و انتصب في المسجد الكبير بقسنطينة للتعليم الذي كان يؤمن أنه الوسيلة القوية لبعث الوعي في الشعب، و ضمان يقظته و

[1] رندة عبد الكريم العمري و عبد المهدي "محمد سعد العجلوني"، موقف الإمام ابن باديس من الديمقراطية كوسيلة من وسائل الإصلاح السياسي، المرجع السابق، ص:173-174.

[2] مولود عويمر، أعلام و قضايا، المرجع السابق، ص:92.

[3] أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة، دار البعث، ج2، د ط، الجزائر، 1984م، ص ص:234-235.

استعداده الصحيح ...، لكن الاستعمار لم يكن نائما عنه، فأرسل إليه من أطفأ عليه الضوء..."[1].

5) عقيدته:

إن "الإمام ابن باديس سلفي في عقيدته، دعى إلى مذهب السلف في العقائد و عمل به أثناء تدريسه، و برهان ذلك الكتاب الذي تركه بعنوان **"العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية"**، وهو عبارة عن إملائات أخذها عنه تلاميذه الذين درسوا عنه في الجامع الأخضر بقسنطينة، ثم جمعها تلميذه الأستاذ محمد الصالح رمضان في هذا الكتاب و بهذا العنوان"[2]، و لما كان ابن باديس سلفي العقيدة فإنه "عمل على محاربة الخرافة...و تربية الأمة بالقرآن و السنن، فوجد تضييقا شديدا من السلطات الاستعمارية الفرنسية التي أحست بخطر الوعي الذي ينشره، فصادرت بعض مجلاته وأوقفتها و أصدرت قوانين منع تدريس اللغة العربية، فتصدى لهم ابن باديس بقلمه و خطبه..."[3].

6) أساتذته:

تلقى الشيخ عبد الحميد ابن باديس تعليمه على يد مجموعة من العلماء و رجال الفكر، و كان لكل واحد منهم الأثر البين في شخصيته، حيث يمكننا "تقسيم أساتذة عبد الحميد بن باديس إلى قسمين"[4]:

القسم الأول: هم الأساتذة الذين درس عليهم فعلا، نذكر منهم:

الشيخ حمدان لونيسي:...كان له تأثير كبير في تكوينه العلمي و العملي معا، و هو الأستاذ الأول الذي تلقى عليه دراسته الابتدائية في قسنطينة قبل أن يسافر إلى الدراسة في الزيتونة بتونس...

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: الذي يصفه بأنه ثاني الرجلين الذين يشار إليهما في تونس بالرسوخ في العلم و التحقيق في النظر و السمو في التفكير...، و قد لازمه مدة ثلاث سنوات...، و قد درس الشيخ عبد الحميد بن باديس عليه الأدب العربي في ديوان الحماسة لأبي تمام و تأثر به في تكوين ذوقه الأدبي و اللغوي تأثرا كبيرا ـ

الشيخ محمد النخلي القيرواني: الذي تأثر به تأثرا عميقا في ناحية فهم القرآن الكريم و تفسيره.

الأستاذ البشير صفر:و قد أجمع إليه الشيخ عبد الحميد بن باديس الفضل في معرفته بالتاريخ العربي و الإسلامي و القومي مما كون منه جنديا من جنود الجزائر.

---

[1] المرجع نفسه، ص ص:233-234.

[2] عمار علي العرابي، الإمام عبد الحميد بن باديس و منهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير و الحديث، المرجع السابق، ص:41.

[3] نبيل بن أحمد بلهي، إعجاز القرآن عند عبد الحميد بن باديس جمعا ودراسة، مجلة تدبر، ع:الأول، س:الأولى، ص:33.

[4] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، ط5، الجزائر، 2001م، ص ص:158-160.

القسم الثاني: فهم الذين لم يتلق عليهم العلم بطريق مباشر و إنما تتلمذ عليهم عن طريق آثارهم وكتاباتهم[1]، نذكر منهم:

الأستاذ طاهر الجزائري:و قد أرجع إليه الفضل في تكوين فكره منذ أن كان صغيرا إلى أن أصبح رجلا و كان يدعوه "شيخي" و قد كتب عنه دراسة طويلة في مجلة الشهاب تحت عنوان "شيخي" جاء فيها قوله: "هو الذي ربى عقلي، و هو الذي حبب إلي هذا الاتجاه الفكري منذ أن كنت طفلا إلى أن صرت رجلا...".

الشيخ محمد عبده: الذي تأثر بأفكاره و آرائه الإصلاحية عن طريق مجلة المنار، التي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس ينقل منها أحيانا بعض المقالات و ينشر في مجلة الشهاب، كما كانت له مراسلات و كتابات مع صاحبها الشيخ رشيد رضا تلميذ الإمام محمد عبده.

الإمام أبو بكر العربي: يظهر تأثير الإمام أبي بكر العربي في الشيخ عبد الحميد بن باديس في كتابه **"العقائد الإسلامية"** الذي لم يسلك فيه مسلك الفلاسفة، و لا منهج المتكلمين و إنما نهج فيه نهج القرآن الكريم في الاستدلال و أساليبه في الرد و الحجاج، ذلك المنهج الذي يتلاءم مع الفطرة الإنسانية.

الشيخ محمد بخيت المطيعي: و قد اتصل به الشيخ عبد الحميد بن باديس أثناء رجوعه من أداء فريضة الحج سنة 1913م.

7) تلاميذه:

"... و كان طلبته أغلى ما عنده و أعزه عليه يجتهد لراحتهم، و يشقى لأجلهم و يبذل لهم كل ما في وسعه، و يؤمن بأن أثمن ما يؤديه في حياته أن يحسن تربيتهم على محبة الدين – و اللغة- والوطن و خدمتهن و الوفاء لهن"[2].

و هم كثيرون، من أبرزهم[3]: العلامة الشيخ مبارك الميلي مؤلف رسالة "الشرك و مظاهره" و"تاريخ الجزائر"، و الشيخ الفضيل الورثلاني، و موسى الأحمدي، و الهادي السنوسي، و باعزيز بن عمر، ومحمد الصالح بن عتيق، و محمد الصالح رمضان و غيرهم -

و منه كانت حياته "سلسلة من المواقف الكريمة الشجاعة و التحديات القوية الصارمة ضد الجهل وضد الخرافات و العادات السيئة، و ضد الاستعمار الأهوج بكل تدليساته و

[1] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص ص:161-163.

[2] أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة، المرجع السابق، ص:263.

[3] عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، اعتنى به و أخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، مج1، ط1، الجزائر،1430ه، 2009م، ص:37.

تدنيساته"[1]، من هنا نجد أن الشيخ ابن باديس كانت حياته متنوعة المواقف، فقد قضى على الجهل المسيطر على العقول بواسطة نشر العلم و الدعوة إلى التعلم، و ثار على البدع و الخرافات التي كانت سائدة في المجتمع الجزائري في فترة الاحتلال من خلال الرجوع إلى الدين الإسلامي و دراسته و التعمق فيه، كما أنه كان يعمل من أجل توعية الفرد الجزائري و غرس فيه بذرة الثقة في النفس للقدرة على إخراج المستعمر من أرضه.

ثانيا: آثاره.

سأل أحد التلاميذ الإمام ابن باديس فقال: "وددنا يا سيدي لو خصصت بعض الوقت لتأليف الكتب التي ربما احتاج إليها جيل الغد كثيرا" أجابه:"أن الشعب يا بني ليس اليوم في حاجة إلى تأليف الكتب بقدر ما هو في حاجة إلى تأليف الرجال...، إن إعداد معلم واحد كفء يتصدى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوعنا لخير لمجتمعنا من ألف كتاب...، و أن مرحلة التأليف لآتية لا ريب فيها..."[2].

من هنا نلاحظ أن الذي كان يشغل تفكير ابن باديس هو كيفية تأليف رجال صالحين واعيين بقضايا وطنهم بدل أن يفكر في تأليف الكتب، لأنه حسب ابن باديس تكوين رجل متعلم يحارب الجهل أنفع للأمة من تأليف كتاب يوضع في رفوف الخزائن لا يقرأ بسبب الجهل الطاغي على الأمة المسلمة.

و لم يخلف لذلك كتبا كثيرة، و لكن ما خلفه فيه قوة و عظمة و أصالة و تجديد، و كفاح مجسد لجهاد هذا الإمام في سبيل الله و الوطن[3].

و قد جمع الكثير من آثاره العلمية بعد وفاته نذكر منها مايلي[4]:

تفسير ابن باديس: الذي نشره الأستاذان محمد الصالح و توفيق محمد، نقلا عن مجالس التذكير، الذي طبع و نشر سنة 1948م.

مجالس التذكير من حديث البشير النذير: و قد طبعته وزارة الشؤون الدينية بالجزائر سنة 1983م.

العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية: و هي عبارة عن الدروس التي كان يمليها ابن باديس على تلاميذه، في أصول العقائد الإسلامية و قد جمعها و علق عليها تلميذه محمد الصالح رمضان.

---

[1] محمد الصالح الصديق، الإمام الشيخ عبد الحميد ين باديس من آرائه و مواقفه، دار الأمل، ط2، القبة، 2006م، ص:17.

[2] باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسين عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي، منشورات الحبر، ط2، الجزائر، 2008م، ص ص:35-36 .

[3] عبد الحميد بن محمد ابن باديس الصنهاجي، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، علق عليه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2003م، ص:14.

[4] شيماء علي جمال الدين، الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الإصلاحية بالجزائر، شبكة الألوكة، د ط، د ب ن، دس، ص ص:14-15.

رجال السلف و نساؤه: و هي مجموعة من المقالات ترجم فيها ابن باديس لبعض الصحابة رضوان الله عليهم، و ما لهم من صفات ، نشر تلك التراجم في مجلة الشهاب.

حقق ابن باديس كتاب **"العواصم من القواصم"**، للإمام ابن عربي و قدم له و طبعه سنة 1928م، في جزأين بمطابع الشهاب بقسنطينة.

و قامت وزارة الشؤون الدينية في الجزائر بجمع كثير من نشاطات الإمام عبد الحميد بن باديس في مجالات : التربية و التعليم و الرحلات التي كان يقوم بها لنشر دعوته، تحت عنوان**"آثار ابن باديس".**

و من أبرز نشاطات العلامة ابن باديس نجده أنشأ العديد من المجلات و الجرائد نذكر أبرزها[1]:

جريدة **"المنتقد"** في سنة 1925 في 5 أغسطس، و قد صدر منها 18 عددا فعطلتها الحكومة الفرنسية لحدة لهجتها.

جريدة **"الشهاب"** في سنة 1926م، فما لبثت أن تحولت مجلة شهرية و قد صدر منها 15 مجلدا.

و هذه الجرائد كانت أسبوعية.

كما أصدر ابن باديس تحت اسم جمعية العلماء المسلمين مجموعة من الجرائد متمثلة في:

جريدة **السنة النبوية**: و قد صدرت في عام 1933م، و قامت سلطات الاحتلال بإغلاقها بعد قليل من صدورها...

جريدة **الشريعة المطهرة:** لسان حال جمعية العلماء.

جريدة **الصراط السوي:** لسان حال جمعية العلماء، و قد أوقفتها سلطات الاحتلال بعد صدورها بقليل.

بحيث لم يصدر من الجرائد الثلاث سوى أعداد قليلة[2].

ثم أصدر جريدة **"البصائر"** في 27 ديسمبر 1935م، و قد صدر منها 180 عددا، بحيث أوقفتها جمعية العلماء المسلمين[3].

إن الملاحظ على هذه الجرائد أن ابن باديس كان يعتمد عليها في نشر أفكاره و مناداته إلى ضرورة إصلاح المجتمع في كافة الميادين، حيث كانت دعوته خاصة بالنسبة للجزائريين و عامة بالنسبة للعالم العربي الإسلامي، و كانت "جريدة المنتقد تحارب بعض شيوخ

[1] محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، د د ن، ج1، د ط، د ب ن، 2000م، ص:8.
[2] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص:169.
[3] محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، المرجع السابق، ص ص:8-9.

الطرق الصوفية، و جريدة الشهاب تدعوا المتعلمين المصلحين في الجزائر إلى ضرورة التجمع في حزب ديني محض يكون هدفه تنقية الدين من البدع و الخرافات و العودة به إلى مصادره الأولى القرآن و السنة"[1].

كذلك "أنشأ مطبعة في قسنطينة، و شجع بناء المدارس العربية و نوادي الشباب، و نشر الكتب الإسلامية السلفية"[2].

ثالثا: وفاته:

إنه شخصية عجيبة، مجدد للنفوس البالية و باعث للضمائر الخامدة، و القلوب الهامدة، باث للعلم، محرك للعقول،مرجع الثقة للناس، زارع بذور الثورة...، و استمر يواصل النضال العلمي والاجتماعي و السياسي يعلم و يرشد و يعظ و يحرر و ينتقل و يتعبد و يتأمل و يحقق...، فجاءه الأجل المحتوم و انتقل للرفيق الأعلى في مساء الثلاثاء8 ربيع الأول1359ه،16 أفريل1940م، فتحركت قسنطينة بأكملها لتشييع جنازته...[3].

إذن كان ابن باديس "مجدد و مصلح يدعو إلى نهضة المسلمين،و يعلم كيف تكون النهضة، وعالم مفسر فسر القرآن الكريم كله خلال خمس و عشرين سنة في دروسه اليومية، و هو سياسي يكتب في المجلات و الجرائد التي أصدرها عن واقع المسلمين خاصة في الجزائر، و قبل كل هذا هو المربي الذي أخذ على عاتقه تربية الأجيال في المدارس و المساجد، فأنشأ المدارس و اهتم بها، بل كانت أهم أعماله"[4]، و هذا يدل على أن ابن باديس شارك و ساهم في العديد من المجالات و الميادين نذكر منها على سبيل المثال: التجديد،الإصلاح، التفسير، السياسة، و كذلك التربية و هذه الأخيرة أعطاها وقت وجهد كبير، و حسب رأيه فإنه بواسطة التربية الصحيحة المبنية على الإسلام تنهض الأمم و يصلح حالها.

ثم "إن شخصية ابن باديس لم تكن ذات صبغة محلية أو إقليمية تتأثر بالمواطنين و يتأثرون بها، بل ما لبثت أن اتسع نطاقها و امتد أثرها إلى الأقطار الشقيقة القريبة منها و البعيدة، بفضل مجلته الشهاب...، فتأثر بها الإخوان من حملة الأقلام و رجال الثقافة و العلم في هذه البلاد كلما زادت وأثرت في الأجانب من الفرنسيين و غيرهم داخل الجزائر و خارجها..."[5].

---

[1] شبوب محمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في إعادة بعث الهوية الوطنية"1939م،1931م"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، ع:19، الجزائر، جانفي2018م، ص:170.

[2] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط3، بيروت، لبنان، 2006م، ص:18.

[3] عمار طالبي، آثار ابن باديس، مج1، ج1، المرجع السابق، ص ص:94-95.

[4] محمد بن محفوظ ابن المختار فال الشنقيطي، جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر، أعده للطباعة و النشر: المختار بن العربي مومن، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2005م، ص ص:14-15.

[5] باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي، المرجع السابق، ص:31.

يتضح من هذا كله أن فكر ابن باديس لم يكن حبيس أمته و وطنه فقط في العملية المزدوجة بين التأثر و التأثير بل ذاع صيته إلى بلدان عربية إسلامية أخرى داخل الوطن و خارجه ، فهو حقا رجل إصلاح عمل جاهدا لتغيير أوضاع الأمة العربية المسلمة.

و شخصية ابن باديس يشهد لها أحد الصحافيين الفرنسيين بقوله: "إن ابن بادس من رجالات الإسلام العظام الذين لهم من قوة الشخصية و الفصاحة و الإخلاص ما يستطيعون أن يقودوا به الجماهير إلى حيث يريدون"[1].

[1] باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسيين عبد الحميد بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي، المرجع نفسه، ص:32.

المبحث الثاني: مصادر فكره.

ساهمت جملة من العوامل في بناء شخصية شيخنا عبد الحميد ابن باديس، هذه العوامل تعتبر بمثابة المصدر الذي استطاع من خلاله أن يكوّن فكرا متميزا، و من أهم العوامل التي أثرت في تكوينه مايلي[1]:

1. **أسرته و بيئته:** حيث قال:"إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة، و وجهني وجهة صالحة، ورضي لي العلم بطريقة اتبعها و مشربا أرده و قاتني و أعاشني و براني كالسهم و راشني و حماني من المكاره صغيرا و كبيرا، و كفاني كلف الحياة فلأشكرنه بلساني و لسانكم ما وسعني الشكر"[2]، و هذا الاعتراف يوضح فضل والده الذي رباه و وفر له الحياة الطيبة المملوءة بالعلم و المعرفة، ليكون رجلا عالما صالحا، و عمل على حمايته من كل مكروه يصيبه، فإن توجيه والده يعتبر النواة الأولى في تكوينه.

"فإن ابن باديس نشأ و ترعرع في البيئة الاستعمارية، و شاهد سياسة الإدارة الفرنسية مع الأهالي و عايش أهوالها، فأخذ يتعلم من هذا الوسط و يدرك ما يدور حوله، و على الرغم من أنه من بيت ميسور الحال و الجاه كان يعي و يحس معاناة أمته و مجتمعه، فكان همه كبيرا لما صارت إليه الجزائر و شعبها، فكانت هذه الظروف هي القاعدة الأساسية التي بنى عليها مشروعه طويل المدى لتغيير المجتمع و النهوض به نحو مستقبل أفضل، فاختار طريق التربية و التعليم و الإرشاد و الوعظ و التوعية"[3].

و هذا يشير إلى أن العلامة ابن باديس على الرغم من أنه من أسرة ذات جاه و قيمة عالية في قسنطينة، إلا أنه لم يتجاهل ما يعانيه أفراد شعبه من مظاهر الاستعمار ك: الجهل، الأمية، الظلم، الفساد...الخ، بل كان يفكر مرارا و تكرارا في إيجاد حل للخروج من هذه الأزمة التي يعاني منها الشعب الجزائري عامة، فهو كغيره من المفكرين و الفلاسفة الذين كانوا يخوضون في المواضيع والقضايا انطلاقا من البيئة الخاصة، و من هنا وضع ابن باديس مخطط من أجل تحسين الأوضاع المعاشة في الحقبة الاستعمارية و ذلك بمختلف الوسائل.

2. **أساتذته:** الذين سبقت الإشارة إليهم و غيرهم، إذ غرسوا فيه خلق العلماء، و تواضع الحكماء و صفات القادة و المسلمين، حيث يقول في هذا الصدد: "... ثم لمشائخي الذين علموني العلم و خطوا لي مناهج العمل في الحياة و لم يبخسوا استعدادي حقه، و أذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البليغ في تربيتي و في حياتي العملية...، و الأخذ باليد إلى الغايات المثلى في الحياة، أحد الرجلين الشيخ حمدان لونيسي القسنطيني نزيل المدينة

[1] عبد الحميد بن محمد ابن باديس الصنهاجي، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المصدر السابق، ص ص:7-8.

[2] عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية ، ط3، مج1، ج2، الجزائر، 1997م، ص:138.

[3] عبد العزيز فيلالي، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، د د ن، د ط، د ب ن، د س، د ص.

المنورة و دفينها، و ثانيهما الشيخ محمد النخلي المدرس بجامع الزيتونة المعمور، رحمهما الله..."[1].

يتبين لنا أن ابن باديس أخذ العلم على يد أساتذته و شيوخه الذين لعبوا دورا هاما في تفتيح عقله و تطوير فكره و تنمية قدراته، و تزويده بمختلف المعارف التي تفيده في حياته، و توجيهه نحو الطريق الصحيح.

3. **زملائه:** تأثر و أثر في كثير من زملائه العاملين معه، و من بين العلماء الذين أشار إليهم ابن باديس نذكر[2]:

الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: "و هو رفيق ابن باديس و زميله في قيادة الحركة الإصلاحية في الجزائر...، تعرف عليه ابن باديس في المدينة المنورة سنة1913م عندما ذهب لأداء فريضة الحج، و ربطت بينها صداقة قوية".

إضافة إلى ذلك "كان بعد رجوعه إلى الجزائر في كل بلد يحل فيه لابد إن يبني أو يوسع مدرسة وكان يقول للناس: وسعوا المدارس فيأتي يوم تضيق فيه بأبنائكم و يقول لهم: إن مدارسكم هي مراكز للإصلاح، لا تحسبوها للعلم وحده حتى إذ أغلقت فرنسا أبوابها أهملت أنها مركز للكفاح".

الشيخ الطيب العقبي: "كان من أبرز رجالات جمعية العلماء و هو صحافي... و صاحب جريدة الإصلاح، عاد إلى الجزائر في4 مارس 1920م و حل بعد عودته بمدينة بسكرة الصحراوية...، واتخذ من مساجد المدينة منبرا يبث منها أفكاره حتى النهضة العربية و الجامعة الإسلامية و الإصلاح الديني و الاجتماعي، و التف حوله جماعة من الأدباء المصلحين يؤازرونه في مهمته".

و "كانت طريقة العقبي في الدعوة الإصلاحية هي نفس طريقة ابن باديس، يقوم تدريسه على العلوم الشرعية و علوم اللغة العربية يهتدي بالقرآن و الحديث، و لكن المجال الذي اشتهر به و ذاع صيته فيه هو الخطابة".

الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي: "ولد عام 1895م في عائلة فلاحية فقيرة...، ابتدأ العربي نشاطه الإصلاحي فور عودته من مصر عام1927م و اتخذ مدينة تبسة التي أصبح ينسب إليها مركزا له...، فالبدع فيها منتشرة و الناس يصدقون الخرافات و الجهل يضرب أطنابه، و لم يكن من اليسير على العربي محاربة هذه الآفات، و لكنه من همة صلبة أبى إلا أن ينطلق في دعوته الإصلاحية...، والتف حوله حفنة من الرجال الواعين في المدينة...".

الشيخ مبارك الميلي: "ولد في عام 1898م...، و أمضى ثمان سنوات معلما و مبشرا بالإصلاح الديني و التربوي في منطقة الأغواط، تعرض فيها لمحاولة اغتيال فاشلة من قبل الطرقيين، مما أرغمه على الانتقال إلى ميلة ليتابع نشاطه الإصلاحي".

---

[1] عمار طالبي، آثار ابن باديس، مج1، ج2، المرجع السابق، ص:138.

[2] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، موسوعات كفاح الشعب، دار ابن كثير، ج2، د ط، دمشق، بيروت، 2016م، ص ص:141-150.

حيث يقول في ذات السياق: "... ثم لإخواني العلماء الأفاضل الذين وازروني في العمل من فجر النهضة إلى الآن..."[1].

4. القرآن الكريم و السنّة الشريفة:

أولا: القرآن الكريم:

اتخذ من القرآن الكريم نبراسا و منهجا، و تملكه الفضل و النبل...، و يقول في هذا الصدد: "... ثم الفضل أولا و أخيرا لله و لكتابه الذي هدانا لفهمه و التفقه في أسراره و التأدب بآدابه، و أن القرآن الذي كون رجال السلف لا يكثر عليه أن يكون رجالا في الخلف لو أحسن فهمه و تدبره و حملت الأنفس على منهاجه"[2]، و الملاحظ هنا أن تأثر ابن باديس بالقرآن الكريم راجع إلى تربيته الإسلامية، و الدليل على ذلك أن العلامة حفظ القرآن منذأن كان طفلا صغيرا.

يقول أيضا: "فإننا – و الحمد لله– نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، و نوجه نفوسهم إلى القرآن الكريم في كل يوم..."[3]، بمعنى أن ابن باديس اعتبر القرآن الكريم ركيزة أولى و أساسية في عملية التربية و التعليم.

ثانيا:السنّة النبوية:

و يتجلى ذلك من خلال[4]:

التعريف بالنبي صلى الله عليه و سلم حتى يعرفه الكل معرفة جيدة؛ و المقصود هنا الإشارة بخصال النبي "ص" و فضائله و صفات كماله و رحمته بالناس.

بيان أن السنّة أصل من أصول الدين الإسلامي كما أنها مصدر من مصادر التشريع في الإسلام، مثلها في ذلك مثل القرآن، لأنها مبنية لأحكام القرآن و شارحة له.

5. **تأثره بالحركة الإصلاحية:** للأفغاني و محمد عبده، و اقتفى أثرهما، و سلك طريق الشيخ عبده في التربية و التعليم، و الإصلاح الديني و اللغوي.
6. **تأثره بابن تيمية وسلفيته:** يعتبره بحق المجدد الواعي و المصلح في شيخوخة الفكر الإسلامي، حيث نجد ابن تيمية ينادي "بالإصلاح الذي يستمد جذوره من الحديث النبوي الشريف...، و التطبيق الصحيح لهدي الإسلام و الرجوع بالمسلمين إلى ينابيعه الصافية...، ومن ثمة فإن الإصلاح الإسلامي هو إرادة تستهدف العودة إلى المنابع، و مثل السلف الصالح من أجل تحرير الشعوب الإسلامية المضطهدة..."[5].

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب،ج 4-5، مج 14، ربيع الثاني و جمادى الأول 1357ه، جوان جوليت 1938م، ص:290.

[2] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج4-5، مج 14، المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عمار طالبي، آثار ابن باديس، مج1، ج1، المرجع السابق، ص:80.

[4] مسعود جباري، الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2001م، 2002م، ص ص:87-88.

[5] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى"1931م،1945م"، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر، د ط، الجزائر، 1996م، ص:55.

7. **فهم السلف الصالح:** المقصود بالسلف الصالح هو صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم والتابعون لهم بإحسان و تابعو التابعين رضي الله عنهم أجمعين، و كذلك فهم أئمة السلف من بعدهم من العلماء و المجتهدين، و فيهم يقول ابن باديس: "ليكن دليلنا و إمامنا كتاب ربنا و سنة نبينا و سيرة صالح سلفنا، ففي ذلك كله ما يعرفنا بالحق و يبصرنا في العلم و يفقهنا في الدين"[1].
8. **الشعب الجزائري:** و من أهم العوامل هو الشعب الجزائري و ما ينطوي عليه من أصول الكمال، واستعدادات عظيمة للخير، و هو ما عمل على تنميته و النضال من أجل تغليبه على جوانب النقص و عوامل السكون[2].

و في هذا يقول ابن باديس: "... ثم لهذه الأمة الكريمة المعاونة على الخير المنطوية على أصول الكمال ذات النسب العريق في الفضائل و الحسب الطويل العريض في المحامد"[3]، بمعنى أن الشعب الجزائري كان مساندا لابن باديس في أفكاره و مساعدا له في مجهوداته التي يبذلها من أجل الأمة.

كل هذه العوامل و غيرها ساهمت في نشأة و بلورة فكر ابن باديس الذي نبع من الأسرة و المحيط الذي عاش فيه بطبيعة الحال، ثم اتخذ فكره يتسع إلى أساتذته الذين لعبوا دورا كبيرا في تنمية فكره وأخذوا بيده نحو العلم المفيد و لا ننسى أصدقائه و زملائه، حيث كان مصدر فكره الأول هو القرآن الكريم، و هذا مرده إلى انتمائه إلى الدين الإسلامي و كذا نشأته الإسلامية.

مميزات فكر ابن باديس:

1) النزعة العقلانية:

"...إن عقلانية ابن باديس عقلانية معتدلة أن صح هذا التعبير، لا تتخوف من الذهاب مع العقل إلى أبعد الحدود في المجالات الدنيوية، و لا تحاول أن تتمرد على أساس الدين و جوهره، لكنها لا تتردد في استعمال العقل و تحكيمه كلما أحست بوجود انحراف خطير يستتر وراء الدين و يستعمل اسم الإسلام"[4]؛ بمعنى أن العلامة ابن باديس تتمثل نزعته العقلانية في تمجيد العقل و تمنحه خاصية التحكيم، و في هذا فهي لا تخرج عن الدين الإسلامي، و تفسيراته للأمور الدنيوية، و أن الدين الإسلامي يدعونا إلى استعمال العقل في كل الأمور.

"...و هذا الطابع العقلاني الإسلامي الذي يطبع تفكير ابن باديس، لم يكن مجرد صدفة، بل نجد مجموع تفكيره متصلا بمجموع الظروف التي أحاطت بالعالم العربي و الإسلامي منذ مطالع العصور الحديثة حتى قيام الحرب العالمية الثانية"[5].

---

[1] محمد صادق محمد داموك، الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله و فكره الإصلاحي، مجلة الجامعة العراقية، ع:3/35، ص:444.

[2] بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح و التنوير، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1420ه،1999م، ص:36.

[3] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج 4-5، مج14، المصدر السابق، ص:290.

[4] محمد الميلي، ابن باديس و عروبة الجزائر، وزارة الثقافة، د ط، الجزائر، 2007م، ص:80.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نجد هنا أن ابن باديس مثله مثل أي مفكر أو فيلسوف الذي يكون فكره ناتج من المحيط أو البيئة التي يعيش ويشاهد و يتفاعل مع ظروفها و أحداثها، حيث يقول ابن خلدون **"الإنسان ابن بيئته"**، و من هنا تكون البيئة هي التي تؤثر على فكر الإنسان، و هي المنطلق لبناء لتفكيره.

2) النزعة الإنسانية:

قال ابن باديس: "إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها و الحدب عليها في جميع أوطانها و احترامها في جميع مظاهر تفكيرها و نزعاتها هو ما نقصده، و نرمي إليه و نعمل على تربيتنا و تربية من آلينا عليه، و لكن هذه الدائرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة و نفعها دون واسطة، فوجدت التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة و إيصال هذا النفع..."[1].

إن العلامة ابن باديس لم يقتصر على خدمة شعبه و وطنه فقط، بل نجده يعمل على خدمة الإنسانية جمعاء على الرغم من الاختلاف الموجود في طريقة تفكير كل شعب و أبنائه.

"... و قد استمد ابن باديس هذه النزعة الإنسانية من التصور القرآني للحقيقة الإنسانية، تلك الحقيقة التي احترمت الكائن البشري و أولته الدرجة الأولى من الكرامة، و أوضحت للناس أجمع أن بنى الإنسان من طينة واحدة، و أن هذه الطينة أو تلك الطبيعة تتساوى فيها جميع الأجناس"[2]، و هذا ما ذكر في القرآن الكريم في قوله: **"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها و بث منهما رجالا كثيرا و نساء و اتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام إن الله كان عليكم رقيبا"[3].**

3) **النزعة الواقعية:**

و هي التي "تنبع من تفكير إنسان واع، مرتبط بوطنه، ملتزم بحقائق دينه، مستوعب أسباب معاناة بلاده، متطلع إلى معايشة عصره، و متفتح على أفكار غيره، حريص على بعث يقظة فكرية و سياسية في نفوس الأجيال، تعيد للأمة عزتها و للعروبة و الإسلام مجدهما، و للوطن كرامته و حريته، و تبعث في الشباب روح العزم على التغيير و إرادة البناء لتخليص الوطن من المحن التي أصابته"[4].

و يتضح من هذا أن فكر الإنسان نابع من الواقع، و هنا لا نقصد أي إنسان وجد فحسب، بل نقصد الإنسان الذي يكون بوعي تام و ذو علاقة متينة ببلاده، يفتخر بها كونه جزء منها، يدافع عنها بحب و يعيش قضايا و مسائل تشغل فكر شعبه ك: مسألة التغيير و النهضة، مسألة الحرية، مسألة المحافظة على الكرامة و الوحدة الوطنية و غيرها، و هذه المسائل نجد أن مصدرها هو الواقع.

4) النزعة العملية:

---

[1] محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح و التنوير، المرجع السابق، ص:125.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 1.

[4] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، د ط، الجزائر، 2010م، ص ص:164-165.

هي التي يستطيع أن يترجمها الإنسان إلى واقع الحياة و يعيش حقائقه، يتطابق فيها القول مع الفعل والاعتقاد مع السلوك، و يتكامل فيها التصور النظري مع الممارسات العملية، و تبحث في الحقائق التي يعيشها الإنسان، و يكون منطلقها واقع المجتمع و أساسها روح الإسلام و أصوله، و غايتها تحرير المجتمع من كل أشكال الظلم و التخلف و التسيب[1].

المبحث الثالث: أوضاع الجزائر زمن ابن باديس.

أولا: الأوضاع السياسية:

واجهت الجزائر سنة 1830م الاحتلال الفرنسي، و هذا الأخير استعمل و مارس العديد من السلطات السياسية و العسكرية كانت الغاية منها: تهديم كيان الشعب الجزائري و القضاء على مقوماته الشخصية كليا، و ذلك من أجل سيطرة فرنسا على الجزائر و التحكم في شعبها أبى الخضوع للاستعمار و سلطته، و تمثلت سياسة الاحتلال الفرنسي في المحاولات الآتية:

1. **محاولة فرنسة الجزائر:**

و نقصد بالفرنسة "إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية بالجزائر، و هذا بتخليهم عن لغتهم مقابل لغة المستعمر و هدف السياسة صبغ البلاد بصبغة فرنسية حتى تتقطع

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ص:164.

روابط الجزائر ماضيا و حاضرا و مستقبلا بثقافتها العربية الإسلامية..."[1]؛ بمعنى أن فرنسا تحاول إلغاء اللغة العربية و تفرض على الشعب الجزائري اللغة الفرنسية.

و نجد أن فرنسا من أجل فرنسة الأمة الجزائرية اتبعت سياسة تمثلت في:

أ. "... إقامة إدارة جديدة على أنقاض الإدارة الجزائرية التي قضت عليها مفرنسة فرنسة كاملة في كل صغيرة و كبيرة، ثم قامت بفرنسة المحيط الاجتماعي الجزائري، بحيث تحولت أسماء الشوارع و الساحات العامة و المعالم الأثرية...، من أسمائها العربية الجزائرية إلى أسماء فرنسية...، بحيث أصبح الزائر للجزائر بعد الاحتلال يظن نفسه أنه في بلاد أروبية و ليس بلاد عربية إسلامية"[2].

ب. "... أنها أقامت منظومة تربوية جديدة على أنقاض المنظومة التربوية العربية الإسلامية الجزائرية مفرنسة فرنسة كاملة هي الأخرى حيث استولت على المدارس و المعاهد العلمية و الزوايا...، و حولت لغة التعليم فيها من العربية إلى اللغة الفرنسية...، و نتيجة لسياسة الفرنسة طردت اللغة العربية و الثقافة العربية الإسلامية و هما لغة الشعب الجزائري و ثقافته من كل مجالات الحياة في الجزائر..."[3].

و يتضح من سياسة الفرنسة التي أجريت على المواطنين الجزائريين أنها كانت تسعى إلى محاربة و إلغاء اللغة العربية باعتبارها إحدى أسس و ركائز الشخصية الجزائرية، و منه فإنها تفرض لغتها الفرنسية و تعتبرها هي وحدها التي يستوجب أن تسود في البلاد على أساس أن اللغة العربية لغة عقيمة و ميتة لا تقدم الجديد فهي لا تجلب منفعة، إضافة إلى ذلك قامت بفرنسة المحيط الجزائري و تغيير المنظومة التربوية من منظومة إسلامية إلى منظومة مسيحية، و استبدال المدارس العربية بمدارس فرنسية.

2. محاولة تنصير الشعب الجزائر:

و نقصد هنا بالتنصير "محاولة إخراج الجزائريين عن دينهم الإسلامي و إحلال المسيحية محل الديانة الإسلامية و انتشار التبشير انتشارا واسعا..."[4]؛ بمعنى أن يجرد الشعب الجزائري من دينه الإسلامي الذي تشبع بمبادئه و نصوصه و تحل في أوساطه المسيحية.

بحيث "تظهر سياسة تنصير الشعب الجزائري في أن فرنسا قامت منذ بداية الاحتلال في 5 مايو عام1830م، بالاعتداء على مقدساته الإسلامية، من أوقاف إسلامية و مساجد و زوايا و مكتبات إسلامية و معاهد إسلامية رغم الاتفاقية التي أمضتها مع حكومة الجزائر

---

[1] بلحداس خديجة، بوزاودة حبيب، مظاهر السياسة التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال"1830م،1962م"، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، مركز جيل البحث العلمي ، العام الخامس، ع:46، نوفمبر2018م، ص:111.

[2] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص:81.

[3] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع نفسه، ص ص:81-82 .

[4] بلحداس خديجة، مظاهر السياسة التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال"1830م، 196م"، المرجع السابق، ص:112.

التي كانت قائمة عند بداية الاحتلال من أنها لن تعتدي على مقدسات الشعب الجزائري الإسلامية..."[1].

فكان الشعب الجزائري قبل أن يتلقى ضربة الاستعمار و سياساته يعيش حياة هادئة هنيئة قائمة على أساس الدين الصحيح و مختلف مؤسساته ك: المساجد و المدارس...الخ، و التي تعمل على نشره بين الأبناء، إلا أن الاستعمار قضى على هذه المؤسسات و المراكز من أجل القضاء على الدين لأنه يدرك جيدا أن الأمة الجزائرية أمة مسلمة متمسكة بدينها و لا سبيل لاحتلالها و إضعافها إلا بالقضاء على الدين الإسلامي و إتلافه، و هذا كان الهدف الخفي لفرنسا في الجزائر، إلا أنه سرعان ما كشف هدفها البشع و نواياها الخبيثة، و ما يدل على هذا ما قاله "وزير الخارجية الفرنسي "السيد بيدو" قائلا: "إنني لن أترك الهلال ينتصر على الصليب" و كأنه أراد أن يقول بمفهوم العبارة: "يجب أن نوقف الإسلام عند حده" "[2].

"و قد قام الكاردينال لافيجري بالعمل على تنفيذ سياسة تنصير واسعة النطاق في الجزائر حددها بقوله: "علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية يضاء أرجاؤها بنور منبع وحيها الإنجيل تلك هي رسالتنا"[3]، و المقصود بقول لافيجري أنه في إطار تنصير الجزائر عمل على جعلها أساس لقيام المسيحية و بث روح دينها في المجتمع و هذا هو الهدف من التنصير.

و جاء في "قانون 24 فيفري 1862م الذي يقول: بما أن دستور فرنسا المحرر في 4 نوفمبر1848م يلحق الجزائر إلحاقا تاما بفرنسا، فإن المسلم الجزائري هو فرنسي إنما المسلم الجزائري لا يمكن اعتباره وطنيا فرنسيا مادام يحافظ على قانونه الخاص الإسلامي في الأحوال الشخصية و هي: الزواج و الطلاق و الميراث، فهو لذلك يعتبر رعية فرنسية"[4].

الملاحظ على هذا القانون أنه جعل من الجزائر جزء من فرنسا، باعتبار أن المواطن الجزائري رعية فرنسية هذا راجع إلى تمسكه بالقانون الإسلامي خاصة في الأمور الشخصية كالزواج و ما إلى ذلك.

3. محاولة إدماج الجزائريين:

[1] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص ص:79-80.

[2] عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر"1913م ،1940م"، دار الشهاب، ط1، بيروت، لبنان، 1999م، ص ص:17.

[3] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص:81.

[4] المرجع نفسه، ص:86.

و نقصد بالإدماج "جعل الجزائريين سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية..."[1].

بمعنى "تكوين جيل من الجزائريين مطموس الروح و الهوية، شديد التعلق بفرنسا و ثقافتها، قابل للاندماج في شعبها و التجنس بجنسيتها، ليكون أداة لاستمرار الحكم الاستعماري بالجزائر، و ذلك بمحو اللغة العربية و العلوم الإسلامية و تاريخ و جغرافية الجزائر من التعليم، و استبدالها باللغة الفرنسية و آدابها و تاريخ و جغرافية فرنسا[2].

يتضح لنا أن سياسة الإدماج كان الغرض منها هو فصل الشعب الجزائري عن مقوماته الأساسية المتمثلة في: الدين بالدرجة الأولى و اللغة و الوطن و التاريخ...، و منه تندمج الجزائر في فرنسا و تعتبر جزء منها.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية.

كانت الجزائر في المجال الاقتصادي تركز على الفلاحة و الصناعة و هي كالآتي:

1) الفلاحة:

"... في الميدان الفلاحي قضت فرنسا على معظم المزروعات التي كانت تنتجها الجزائر...، فبعد أن كانت الجزائر تصدر القمح أصبحت تستورد، و حاولت في البداية تجربة منتوجات المناطق الاستوائية مثل: القهوة و قصب السكر و الشاي، لكنها لم تؤد إلى نتائج مرضية، فحولوها بزراعة الكروم المنتجة لعنب الخمور، و لما عرف هذا المنتوج نجاحا كبيرا ركزوا جهودهم لزراعته و توسيعه على حساب زراعة القمح و أنواع الحبوب فخصصوا له أحسن الأراضي..."[3].

و هذا يشير إلى أن فرنسا استولت على أحسن الأراضي الزراعية، و استغلتها لزراعة منتوجات تحقق لها فوائد ك: إنتاج الخمور...، و بهذا نجدها هدمت و ألغت منتوجات أرض الجزائر، و هنا تحولت من بلاد منتجة لها خيراتها التي تميزها عن غيرها إلى بلاد مستوردة لخيرات البلدان الأخرى وهذا ما أدى إلى تراجع اقتصاد الجزائر.

2) الصناعة:

إن الجزائر في الميدان الصناعي "لم تعرف تقدما كبيرا، إذ لم تكن متطورة بالمفهوم الحديث مثلما كانت عليه فرنسا، فهي أشبه بالصناعات الحرفية لم تستخدم يد عاملة كثيرا، و هي عبارة عن مؤسسات متوسطة الحجم مختصة في صناعة و تحويل المنتوجات الفلاحية و البناء و النسيج والأحذية...، و هذا إلى جانب الصناعات الاستخراجية من حديد

[1] بلحداس خديجة، مظاهر السياسة التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال"1830م،1962م"، المرجع السابق، ص:111.
[2] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من1830م إلى1989م، دار المعرفة، ج1، د ط، د ب ن ، 2006م، ص:154.
[3] عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ريحانة، ط1، القبة، الجزائر، 2002م، ص:186.

و فوسفاط و نحاس و زنك، و لم تكتشف و تستغل البترول و الغاز إلا في الخمسينيات..."[1].

و هذا يوضح أن الجزائر كانت تعتمد على الصناعة الحرفية ك: صناعة الملابس و الأحذية و خدمة الأرض الفلاحية و كذا النسيج، و بالتالي كانت تعيش حياة في غاية البساطة، إلا أنها غير متطورة بالنسبة للشعوب الأخرى و على رأسها الشعوب الأوربية.

"فالاستعمار هشم الأمة الجزائرية من الناحية الصناعية، و حطمها تحطيما، و أوصد في وجهها أبواب الأمل و الرجاء، مع أن خيراتها موفورة و إمكانياتها عظيمة"[2].

إضافة إلى ذلك ربط اقتصاد الجزائر بفرنسا:

و ذلك كان "بإلغاء النقود الجزائرية العثمانية، و إنشاء بنك الجزائر الفرنسي، و سك عملة استعمارية بموجب قانون1 أغسطس1851م، و ضم الجزائر جمركيا إلى فرنسا...، و فتح أسواق الجزائر أمام السلع و المنتجات الفرنسية، كما تم بالتدريج تكثيف زراعة العنب لإنتاج الخمور و كذلك الحوامض و التبغ للتصدير ولتسميم الشعب الجزائري و إنشاء شبكة سكك حديد بين المناجم و موانئ التصدير لتسهيل استخراج المعادن و تصديرها خاما إلى فرنسا"[3].

و يتضح من هذه الفقرة أن اقتصاد الجزائر قبل إلحاقه بالاقتصاد الفرنسي كان اقتصاد ذات وفرة يكفي و يلبي متطلبات الشعب، فعمل الاحتلال الفرنسي على استيراده و إضعافه بدءا بالعملة الجزائرية و انتساب الجزائر إلى فرنسا و استغلال منتوج الأرض في الخمور و المسكرات...

و كان "الاقتصاد الاستعماري وحده هو الذي كان ينمو و يتقدم على حساب مصالح الأهالي و قد عبر الإمام ابن باديس بعبقرية فذة عن هذا الواقع حيث قال: فإن الجزائر الأهلية اليوم تمثل الشقاء بكل ما لهاته الكلمة من المعاني الدامية، لا من الوجهة الأدبية فقط بل و من حيث الوجهة المادية أيضا، فالأهالي الجزائريون اليوم يمثلون الفقر و الجهل و الذل و بلادهم تمثل الخرابة"[4].

و يتضح من هنا أن أوضاع الجزائر الاقتصادية كانت سيئة للغاية، في حين أن أوضاع فرنسا كانت في تقدم ملحوظ، و كان الجزائريون في فقر مدقع و سادت الأمية و كانت البلاد في تخريب جراء سياسة الاستعمار.

---

[1] المرجع نفسه، ص ص:186-187.

[2] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د ط، د ب ن، د س، ص:126.

[3] بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من عام1830م إلى1989م، المرجع السابق، ص:160.

[4] بوحمادو يونس، الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه و مقاصده، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص الكتاب و السنة، جامعة الجزائر1، بن يوسف بن خدة، 2015م، 2016م، ص:18.

و من مظاهر الضعف الاقتصادي في الجزائر[1]:

1. الفوضى و انعدام التنظيم: حقا إننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيه من جميع جهاته، فمن فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق إلى فوضى في الاقتصاد.
2. ضعف التجارة: يصف لنا ابن باديس حالتها بقوله: "إننا لا نزال رغم القرن أمواتا موتا اقتصاديا جاهلين بطرق التجارة التي هي أساس الحياة"، و هكذا كانت التجارة عبارة عن معول هدام مخرب، يحطم كل يوم شيئا من بقايا الكيان الجزائري .

و كانت هذه أبرز مظاهر تراجع الاقتصاد الجزائري .

و نشير إلى بعض أسباب هذا التدهور[2]:

- ❖ سياسة الاحتكار: و ذلك بالاستحواذ على كل الأسواق التجارية و المجالات الصناعية و تسييرها وفق المصالح الاستعمارية فقط.
- ❖ سياسة الإقصاء: و ذلك بإبعاد العنصر الأهلي عن كل مصدر من مصادر الثروة...
- ❖ مراقبة رؤوس الأموال و الحرص على أن تكون بأيدي المعمرين وبالمقابل التضييق على العائلات الأهلية ميسورة الحال بفرض الضرائب و محاصرة نشاطاتها الاستثمارية.
- ❖ إبعاد الأهالي عن الوظائف المحترمة والسيادة وتوجيههم إلى الأشغال الشاقة والمخزية في المزارع والبساتين ومخازن الخمور والإسطبلات .
- ❖ ضعف الأجور وقلتها مقارنة بأجور المستوطنين من جهة والجهد المبذول من جهة الأخرى، دون الحديث عن المنح العائلية أو التغطية الاجتماعية و الصحية.

ثالثا: الأوضاع الدينية.

1) الدين الإسلامي:

حيث "يعتبر الإسلام مقوما أساسيا من مقومات الشخصية الجزائرية، و قد حاولت فرنسا القضاء عليه تمهيدا للقضاء على الشخصية الجزائرية..."[3].

و هذا يدل على أن الدين الإسلامي مقوم أساسي من مقومات الشخصية الجزائرية، فهو الذي يقوي الروابط بين أفراد المجتمع الواحد، و يعمل على تماسك المجتمع وفق ما ينص

[1] بوحمادو يونس، الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه و مقاصده، المرجع نفسه، ص ص:18-19.
[2] المرجع نفسه، ص:19.
[3] نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ب ن، 1990م، ص:35.

عليه القرآن الكريم، و بهذا فإن المستعمر الفرنسي لاحظ تماسك أفراد الوطن النابع من الدين، لذلك نجده يضع مخططات من أجل القضاء عليه، و بالتالي القضاء على مكون أساسي للشخصية الجزائرية.

و نجد "أن فرنسا كانت ترمي وراء احتلال الجزائر إلى القضاء على الإسلام، و نشر المسيحية بالجزائر، و أنها من أجل هذا استولت على الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم برعاية شؤون المساجد و التعليم الديني، و لم تكتفي فرنسا بذلك، بل أنها حولت عددا كبيرا من المساجد الإسلامية الهامة إلى كنائس..."[1].

إضافة إلى ذلك "برر أحد الفرنسيين سياسة التنصير بقوله: إن تعصب المسلمين هو الأمر الحقيقي الذي يدعم المقاومة التي نواجهها في إفريقيا و هذا الدين (الإسلام) الذي احترمناه إلى يومنا هذا نقترح الآن و بجرأة محاربته، و هكذا نثبت قومنا و نشر طقوسنا على أنقاض الإسلام..."[2].

يتبن لنا من هنا أن الغاية من وراء احتلال فرنسا للجزائر كانت من أجل هدم الدين الإسلامي الذي كان الشعب متمسكا به و يعمل به في حياته، و كانت فرنسا تنادي بنشر الدين المسيحي بدل الدين الإسلامي، هذا كله لفرض سيطرتها و من ثمة التحكم في الشعب الجزائري و طمس هويته بداية بالدين الإسلامي.

كذلك "أرادت فرنسا أن تقضي على الإسلام قضاء مبرما ففتحت المدارس الفرنسية لتعليم بعض أبناء الجزائر تعليما فرنسيا لا دينيا..."[3]، لأنها "عرفت أن الإسلام هو الذي يوحد الشعب الجزائري، فعملت منذ أن وطئت أقدامها أرض الجزائر على محاربته..."[4]، و بالتالي فإن فرنسا أول شيء عملت على تحطيمه في مقومات الشخصية الجزائرية كان الدين الإسلامي، لأنها على دراية أن هذا الشعب الذي احتلته قوي بدينه و نزعته الإسلامية الدينية.

2) الأوقاف الإسلامية:

"إن أول ضربة ضربها الاستعمار في قطر الجزائر، هي تلك الضربة التي ألحق بها الأوقاف الإسلامية بممتلكات الدولة سنة 1830م، فكل المساجد الإسلامية و المؤسسات الإسلامية قد أصبحت من ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة تفعل بها ما تشاء، فهدمت منها على هذه القاعدة ما هدمت..."[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص:36.

[2] مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي، دار القلم، ط2، دمشق ، 1999م، ص ص:21-22.

[3] مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي المرجع نفسه، ص:23.

[4] المرجع نفسه، ص:21.

[5] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص:148.

و هنا فرنسا استحوذت على ممتلكات الأهالي و ضمتها إلى ملكيتها الشخصية الخاصة بها، و هذا كان لغرض استغلال الأوقاف المسئولة على نشر تعاليم الدين الإسلامي لصالحها، كما أنها قضت على المساجد و استبدلتها بالكنائس.

"... فقد كان من أثر استيلاء الاستعمار على المساجد و الأوقاف الإسلامية و تسخيرها لغاياتها، و سيطرته على شؤون المسلمين الدينية، أن فقدت المساجد مكانتها في تعليم الدين، و في إيقاظ العاطفة الدينية...، و أن أصبح رجال الدين المرتبطون بتلك المساجد على تلك الصورة من الجهل بأوليات الدين، و على ذلك النحو من الخروج على أبسط مبادئ الدين، والاستهانة بالكرامة الدينية...، بحيث أصبحوا عملاء للمستعمر المسيحي..."[1]، بعدما ما نفذت فرنسا هدفها في هدم الدين الإسلامي و من ثمة القضاء على المساجد التي كانت مراكز للصلاة و التعليم و حولتها إلى كنائس، و بالتالي فإن رجال العلم و الدين أصبحوا لا يفقهون في الأمور الدينية إلا القليل منها، لأن فرنسا استخدمتهم و استغلت فكرهم لنشر تعليمها المسيحي.

3) انتشار الطرقية:

"لم يكتفي الاستعمار الفرنسي بهذه الأساليب المتعددة لمحاولاته محو الشخصية الجزائرية، بل أنه أخذ في التسلسل إلى داخل القيادات الدينية الجزائرية...، و من أهمها الطرقية التي بدأت بداية حسنة على يد روادها الذين نشروا التصوف و الرياضة الروحية و الدعوة الإسلامية و التبشير بالإسلام بين غير المسلمين، إلا أن معظم خلفائهم خلطوا الأمور و أكثروا من البدع..."[2].

من هنا يتضح أن المستعمر الفرنسي لم يتوقف على تخريب المساجد و تحويل مهامها أو محاولته لهدم الدين و كذا الاستيلاء على الأوقاف بل أنه تغلغل إلى رجال الطرقية الذين كانوا يعملون جاهدين على نشر الدين بين المسلمين و غيرهم، إلا أن الاستعمار استغلهم و حول مهامهم لصالحه و هذا بغية تشتيت الشعب الجزائري و تفكيكه.

إضافة إلى ذلك "أدى هذا الاتجاه المنحرف للطرقية إلى إفساد الفطرة الإسلامية، و أمانة الفضيلة، و تفكيك روح الأخوة الإسلامية و الخضوع للاستعمار و قد استطاعت سياسة الاحتلال الرامية إلى بسط سيطرتها على الجزائر التي تكسبها إلى صفوفها...، و بما أنهم جامدون و منحرفون فقد ساعدوا على محاولة نجاح سياسة الفرنسة في الجزائر..."[3].

و من هنا يتبين أن رجال الطرقية الذين تمكنت فرنسا من خداعهم ليكونوا من عملائها هم من الأوائل الذين قدّموا لها المساعدة حتى تنفذ سياستها على أرض الجزائر، و دليل ذلك أن "الاستعمار الصليبي أعان المفسدين و المرابطين الجهلة شيوخ الطرق الصوفية الضالة المدجلين بكل الوسائل لتكون العامة في قبضتهم، يفسدون عقيدتها الدينية...، و

[1] محمد طه الجابري، جوانب من الحياة العقلية و الأدبية في الجزائر، معهد البحوث و الدراسات العربية، د ط، د ب ن، 1968م، ص:90.
[2] نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، المرجع السابق، ص:38.
[3] المرجع نفسه، ص:38.

يحدون لها في طرق الضلال و الجهل و الجمود و الخمول لتستمر فيها...، و كان هؤلاء الجهلة المدجلون الذين يتظاهرون بالتصوف أكبر أعوان الاستعمار في الجزائر..."[1].

و قد "كان هؤلاء المشايخ جاهلين فاسدين لا تهمهم إلا شهواتهم فحرصوا على بقاء الجهل الذي يقيد العامة لهم ليستغلوها كما يريدون، و يبتزوا أموالهم و يسيطروا عليها، و يسخرها في شهواتهم وتكون لهم خدما و عبيدا..."[2]، و هكذا عمل رجال الطرقية الجاهلين على نشر الجمود و الجهل والأمية في أوساط العامة، و هذا الجهل أدى بدوره إلى "ضعف الإيمان بالله في نفوس العامة للجهل المنتشر، و لتسلط مشايخ الطرق الذين يؤيدهم الاستعمار و يعينهم في التسلط على العامة، ليبعدوها عن الدين، و يغمسوها في الفساد و كل الويلات التي تجعلها له حطاما لا ينهض، و هشيما لا يقاوم...، و انتشرت الخرافات التي تفسد العقول و اتجهت العامة الجاهلة إلى مشايخ الطرق تراهم زعمائها و قادتها و ملاذها..."[3].

و بهذا "استطاع الاحتلال أن يوثق صلته ببعض الطرق و شيوخها و يكسبه إلى جانبه، ويستصدر فتاوى منهم كان لها تأثير كبير في تثبيط الهمم عن الجهاد و الاستعداد له، و يدعون أن وجود الاحتلال هو من باب القضاء و القدر، الذي ينبغي التسليم به و الصبر عليه، و أن طاعة السلطة التي أقامها الفرنسيون طاعة لولي الأمر، و صار منهم عيون للاحتلال على أهل الإصلاح...، و دعا بعضهم إلى الوقوف معها بالنفس و المال، فأصبحت بعض طرق الصوفية من أدوات الاستعمار الفرنسي لإخضاع الشعب الجزائري و استغلاله باسم الإسلام"[4].

و الملاحظ من هنا أن طائفة من الطرقية كانت مسئولة عن نشر البدع و الخرافات و أدخلتها ضمن نشاطها لأن هذه الطائفة كانت منحرفة و بعيدة عن الدين الإسلامي الصحيح القائم على نشر تعاليم القرآن و العلم النافع، و هذا الجانب السلبي للطرقية هو ما جعل فرنسا تخطط و تستغلها لصالحها و القضاء على الأمة الجزائرية المسلمة.

إضافة إلى ذلك "كان الطرقيون الاستعماريون يريدون أن تظل العامة جاهلة مقفلة العقول جامدة لتظل من أتباعهم، و يكرهون إليها أسباب النهضة، و التعليم العصري المجدي، فكرهت التعليم العصري...، فاقتصرت على الكتاتيب القاصرة، فتملأ النفوس بالجمود و الخمول، و تنشئ التلاميذ على تقديس شيخ الطريقة لا على خوف الله...، و على التمسك بالطريقة المنحرفة المضرة لا بالدين...، فانصرفت الناس عن العلم الصحيح، فاستغلت

[1] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام"1340ه،1921م" إلى عام"1395ه،1975م"، عالم المعرفة، ج1، ط1، الجزائر، 2013م، ص:19.
[2] المرجع نفسه، ص:24.
[3] المرجع نفسه، ص:25.
[4] مركز البحوث و الدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس، مجلة البيان، ع: 189، الرياض، 1435ه، ص:22.

العقول و انتشر الجمود و الخمول..."[1]، وهكذا بعدما كانت الطرقية تنشر العلم بين الأهالي أصبحت تنشر الجهل و الجمود ، و هذا كله راجع إلى سياسة فرنسا.

الأوضاع الاجتماعية:

عاشت الجزائر أوضاع اجتماعية مزرية و صعبة و هذه كانت نتيجة الاحتلال الفرنسي و تجلت أوضاع الجزائر الاجتماعية في:

1) بنية المجتمع الجزائري:
قبل الاحتلال:

كان المجتمع الجزائري قبل الاستعمار يتكون من طبقتين مميزتين هما[2]:

1 الطبقة الارستقراطية: و تشمل الحكام ورؤساء قبائل المخزن و شيوخ الزوايا، و كانت تحت تصرفهم الأراضي الخصبة التي تحتوي على البساتين و الأراضي .

2 الطبقة العامة : تمثل الأكثرية، و تتكون من الفلاحين و صغار التجار و الخماسين.

و في هذا الجو كان الشعب الجزائري يعيش حياة اجتماعية هادئة و منسجمة و لكنها غير راقية على العموم إذ ما قيست بحياة المجتمعات الأوربية المتقدمة في ذلك الوقت، فمثلا الشعب الجزائري لم يكن يعرف العلوم الطبية المتقدة، و لكنه في المقابل لم يكن يعرف الأمراض السارية كالسل و الأمراض التناسلية التي وفدت إلى الجزائر مع الحملة الفرنسية و المعمرين الأوائل المؤلفين من السجناء و اللقطاء و المرتزقة[3].

و الملاحظ هنا أن المجتمع الجزائري قبيل الاحتلال الذي حطم كل ممتلكاته كان يعيش أوضاع بسيطة في حياته اليومية، وهذه الحياة إذ ما قارناها بحياة الأوربيين نجدها متأخرة في العديد من المجالات مثلا: المجال الثقافي...، كما أنها مكونة من فرقتين أحدهما تضم الأقلية ك: الحكام والشيوخ... و الأخرى تضم الأكثرية ك: التجار والفلاحين...

بعد الاحتلال:

[1] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام"1340ه/1921م" إلى عام "1395ه/1975م"، المرجع السابق، ص ص:27-28.
[2] أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة الكلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية، ع:28، جامعة بابل، 2016م، ص:168.
[3] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، دار الهدى، ج1، د ط، عين مليلة، الجزائر، 2005م، ص:100.

أما "بعد الاحتلال الفرنسي أصبح المجتمع الجزائري يتكون من مجموعتين رئيستين: المجموعة الفرنسية وفيها الطائفة اليهودية، والمجموعة الجزائرية الإسلامية"[1]، بعدما كان المجتمع الجزائري يعيش وفق نظام خاص بهم تلاءم مع شعبه و كان يحكمه و ينظم شؤونه كبار المشائخ و الحكام، لكنه مع دخول المستعمر تغير كل هذا، حيث شهد زعزعت لبنيته حيث ظهرت اليهودية في وسط الجزائريين المسلمين و هنا اختلط الشعب الجزائري.

حيث "كان من نتائج الاحتلال الفرنسي أن المجتمع الجزائري قد تغيرت طبيعته و تأثر الفرد الجزائري بمؤثرات جديدة، فالجزائري أصبح لا يخرج من داره إلا و هو ذليلا...، ذلك أن الشارع فيه حضارة أخرى غريبة عن حضارته، و أصبح الجزائري غريبا في وطنه و مجتمعه فحوصر في الأحياء الشعبية الضيقة، و حرّم عليه الاحتكاك بالمستوطنين..."[2]، و هذا يبين أن المجتمع الجزائري سادت فيه مظاهر تتنافى و ثقافته الإسلامية ك: انتشار الآفات الاجتماعية و مظاهر غير مرغوب فيها.

2) حيازة الأراضي:

لقد "عمل الاستعمار بشتى الأساليب على تجريد الجزائريين من كل الحقوق المادية المتمثلة في أراضيهم الخصبة التي كانت تشكل المصدر الرئيسي لحياتهم المعيشة..."[3]؛ فالشعب الجزائري كان يعتمد على ما تنتجه الأرض سواء في لقمة العيش أو في تلبية متطلبات الحياة اليومية، و من هنا استولت فرنسا على الأرض الجزائرية و أصبح الجزائريون عبارة عن خدم في أرضهم بعدما كانوا أصحابها.

حيث نجد كذلك أن فرنسا لم تتوقف عند مصادرة و امتلاك الأراضي فحسب بل "أعطت الأراضي و الممتلكات المصادرة إلى الأوربيين المجلوبين بطريق الإغراء للعيش في الجزائر"[4]، و هكذا انتهجت فرنسا سياستها في مصادرة أراضي الأهالي إلى الأوربيين الذين ليس لهم الحق فيها.

إضافة إلى ذلك "لم يتوقف عمل المعمرين على حيازة الأراضي و استغلالها و استغلال من فيها خدما لصالحهم فحسب، بل تعدى ذلك إلى العمل على التحكم في كل أمر داخلي و خارجي يخص الجزائر، ليبسطوا نفوذهم و هيمنتهم عليه..."[5].

و الملاحظ هنا أن الأمر لم يتوقف عند الاستيلاء على أراضي الجزائريين فقط من طرف المستعمرين بل تعدى الأمر إلى استغلال أصحابها ليكونوا عاملين فيها و بأجور جد منخفضة لا توفي بالأغراض اللازمة، و هنا نجد فرنسا حققت هدفين معا و هما: امتلاك

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر في مطلع القرن العشرين، المرجع السابق، ص:168.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى"1931م،1945م"، المرجع السابق، ص:38.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج4، ط1 ، بيروت ، 1996م، ص:20.

[5] عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر(1913م، 1940م)، المرجع السابق، ص:22.

أراضي الجزائريين و العمل على نشر الفقر في أوساط الشعب الجزائري، و هذا فعلا ما ترمي إليه.

3) انتشار الفقر و الجهل:

الفقر:

حيث "تظهر سياسة التفقير التي اتبعتها فرنسا في الجزائر بعد الاحتلال مباشرة في أنها قامت بمصادرة معظم الأراضي الفلاحية الجيدة من الجزائريين و قامت بتوزيعها على المستعمرين الأوربيين الذين جلبتهم معها من مختلف البلاد الأوربية بأعداد غفيرة من أجل توطيد عملية احتلالها ضد مقاومة الشعب الجزائري العربي المسلم الذي لم يقبل الاستسلام للاحتلال الغاشم لبلاده و واصل الكفاح ضده بكل ما يستطيع"[1]؛ بمعنى أن جل الشعب الجزائري كان يركز على فلاحة أراضيه، و أن فرنسا بطبيعة الحال درست أوضاع الجزائر في هذا المجال و أدركت أنه لا وسيلة أخرى لاهماد هذا الشعب و جعله يلاحق لقمة العيش فقط إلا بواسطة السيطرة على أراضيه و منحها للأوربيين، و هنا يخضع الشعب الجزائري لفرنسا و يصبح عبدا عندها في أرضه، و بعدما كان مالكا لهذه الأرض أصبح مملوكا، و هذا نتيجة فقدانه لأرضه التي هي مصدر عيشه.

الجهل:

إن "سياسة التجهيل التي اعتمدتها حكومة الاستعمار في الجزائر أسلوبا من أساليب الفرنسة، لذلك لم تتح الفرص التعليمية لأبناء الجزائر في البداية، ثم ظهر لها أسلوب آخر فأنشأت لهم مدارس خاصة و وضعت لها برامج معينة...، و حرصت أن يكون التعليم كله بالفرنسية، فوضعت بذلك الجزائريين في موقف الاختيار بين الفرنسة أو الجهل ..."[2].

و من هنا كانت غاية فرنسا من التعليم المفرنس القضاء على ثقافة الأمة الجزائرية و تجهيلها، وأنها كانت مدركة أن الأقلية فقط من أبناء الجزائريين من يتجهون نحو مدارسها لتعلم لغتها.

بحيث تظهر سياسة التجهيل التي اتبعتها فرنسا في الجزائر اتجاه تعليم أبناء الشعب الجزائري في الأمور التالية[3]:

- ❖ أنها استولت أو قضت على معظم معاهد العلم و التعليم التي كانت قائمة في الجزائر عند بداية الاحتلال و المتمثلة في المدارس و الجوامع و الزوايا و الكتاتيب القرآنية و المكتبات العامة والمكتبات الخاصة.
- ❖ أنها قضت على معظم رجال العلم و التعليم خلال النصف الثاني في القرن التاسع عشر ميلادي.

[1] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص:80.

[2] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، د ط، 2010م، ص:90.

[3] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص:84.

- ❖ قامت فرنسا بفرض نظام تربوي مسيحي جلبته معها من فرنسا.
- ❖ إعراض معظم العائلات الجزائرية و عدم رغبتها في إرسال أبنائها للتعلم في مدارس فرنسا، لأن التعليم فيها ليس فيه شيء من العربية و من الثقافة العربية الإسلامية خوفا على أولادها من الانحراف عن العروبة و الإسلام.

و كانت هذه جملة الوسائل التي اعتمدتها فرنسا في تجهيل الأهالي و إبعادهم عن ثقافتهم العربية الإسلامية.

4) انخفاض الأجور:

إن "القاعدة الأساسية في قطر الجزائر بالنسبة للأجور، هي إعطاء أقل ما يكون للعامل المسلم وخاصة في المنطقة الفلاحية، و ذلك ليزداد المستعمرون ثروة و غنى...، و ليزداد الجزائريون فقرا وفاقة...، فأساس السياسة الفرنسية في قطر الجزائر هو التفقير..."[1]، و هذه إحدى سياسات فرنسا في مجال تفقير الشعب الجزائري، حيث تحول المالك الحقيقي لهذه الأرض إلى مجرد عامل لا غير، كما أن الأجر الذي يتقاضاه لا يلبي له متطلبات حياته البسيطة، و بالتالي فإن المواطن الجزائري يعيش حالة فقر مزرية إن صح هذا التعبير، "فالعامل الجزائري لا يكاد يستطيع أن يسد رمقه أو يطفئ غلته، فهو لا يتقاضى على عمله الشاق المنهك إلا أجورا زهيدة..."[2]؛ هذا يدل على أن العامل الجزائري كان يعمل أعمال شاقة في أرضه المسلوبة منه و ذلك لصالح المستعمرين إلا أن الثمن الذي يتقاضاه كمقابل لعمله لا يلبي له احتياجاته اليومية.

5) فرض غرامات مالية على الشعب الجزائري:

لقد عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي إلى فرض غرامات و إتاوات كثيرة و كبيرة من غير مبرر و لا سبب على مجموع الشعب الجزائري و ممتلكاته و أراضيه...، و هذه الجباية الضخمة من الضرائب والإتاوات التي تحصل عليها لإدارة الاحتلال كانت تشمل كل شيء يملكه الجزائري أو يصدر عنه كالتلفظ بالعبارات المعادية لفرنسا أو مخالفة التقاليد المهذبة كالبصق في الطريق العام، عدم تسجيل المواليد و الوفيات و فتح المدارس الدينية بدون إذن..."[3].

بمعنى أن عيون المحتل الفرنسي كانت تراقب باستمرار تحركات و أفعال الشعب الجزائري، وكانت تضع عقوبات لكل فعل لا يتماشى مع سياستها الظالمة.

6) تشتت الأسر:

من المعروف عن الأسرة منذ القدم أنها النواة الأولى في عملية تكوين الأفراد و الأطر الاجتماعية، ومن أجل تفكيك المجتمع عمل المحتل الفرنسي على تلاشي هذه الخلية المكونة للمجتمع، "ذلك أن سلطات الاحتلال قد قوضت أركانه و قضت على إطاراته، و

[1] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المرجع السابق، ص ص:130-131.

[2] محمد فيلالي، أوضاع الجزائر الاجتماعية أثناء الفترة الاستعمارية، مجلة العلوم الاجتماعية، ع:06، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية و السياسية و الاقتصادية، برلين، ألمانيا، أكتوبر2018م، ص:426.

[3] عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر"1913م،1940م"، المرجع السابق، ص ص:24-25.

تسببت في إضعاف الأسر الكبيرة وإخضاعها لنفوذها، إذ أن هذه الأسر التي أصبحت محل شك من الإدارة الاستعمارية قد أفقدت المجتمع أهم إطاراته القيادية، التي كانت تحافظ على النظام العام و تسيير شؤون الإدارة في البلاد، وهذا الضعف الذي أصاب هذه العائلات قد أدى إلى عزلها عن التطور من جهة، و إلى انتشار الفقر في أوساطها بسبب فقدها معظم أراضيها من جهة أخرى"[1].

7) انحلال الأخلاق:

إن "الاستعمار قد أغلق أبواب الكسب الكبيرة في وجوه الجزائريين و خص بها أبناءه و قصرها على نفسه، و حرم الجزائريين من ميادين الرزق الكبرى التي تبني أخلاقهم، و تذهب عنهم الخصاصة و عودهم البطالة و فتح لهم أبواب الفساد الخلقي و دفعهم إليها دفعا بكل وسائله، فتسلط الفقر على المسلمين، و الفقر مع خلو النفس من الدين بسبب كل الجرائم...، فانتشر الزنا، و انعدمت الغيرة في نفوس الآباء و الأزواج الفاسدين و كثرت الجرائم و الفتن و حب السطو و الانتقام"[2].

و من هنا كان من نتائج الاحتلال الفرنسي و سياسته التي طبقها على الشعب الجزائري، أن وجد الأهالي أنفسهم لا يملكون شيء و عاطلين عن العمل و ضعف دينهم...، و كل هذه المظاهر التي حلت بالمجتمع الجزائري أدت بدورها إلى فساد أخلاقهم، نظرا لما يعانونه من ظلم بسبب المستعمر الفرنسي، "كما عمدت سلطات الاحتلال إلى إشاعة شرب الخمور و مظاهر الانحلال، و هجر التقاليد الإسلامية، لغرض فصل المجتمع الجزائري عن جذوره و مبادئه ليتسنى لها السيطرة التامة و الدائمة على هذا المجتمع المستعمر"[3].

8) النفي الجماعي:

"تشهد السجلات على إجبار الجزائريين(رجال و نساء) على مغادرة وطنهم و العيش في جزر نائية...، و هناك من غيبته المنافي فلم يسمح له بالرجوع إلى وطنه أبدا و هناك أطفال أخذوا كرهائن لإجبار أبائهم على الاستسلام..."[4].

و الملاحظ هنا أنه بعدما كان المواطن الجزائري حرا في وطنه يتنقل كيفما يريد بحرية و إرادة تامة، أصبح مقيدا من طرف المحتل الفرنسي الذي سعى إلى تغريبه و نفيه من وطنه و إدخال مستوطنين آخرين إلى الأرض الجزائرية.

9) هجرة الجزائريين:

نذكر من أسباب الهجرة الرئيسية[5]:

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، المرجع السابق، ص ص:108-109.

[2] محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام"1340ه/1921م" إلى عام "1395ه/1975م"، المرجع السابق، ص ص:26-27.

[3] محمد فيلالي، أوضاع الجزائر الاجتماعية أثناء الفترة الاستعمارية، المرجع السابق، ص:428.

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص:19.

[5] نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، المرجع السابق، ص:30.

- ❖ مراقبة المؤسسات الدينية.
- ❖ مصادرة الأوقاف.
- ❖ إدارة الشؤون الدينية من طرف فرنسا.

و من جهة أخرى كانت القومية الإسلامية سببا آخر هاما في الهجرة الجزائرية، فالرسائل التي كان يبعث بها المهاجرون الجزائريون في القرن التاسع عشر إلى ذويهم في الجزائر كانت تصف بالحرية، مما شجع الجزائريين أن يولوا وجوههم شطره فرارا من سياسة الاضطهاد الفرنسية، و حلما بحياة أفضل في الخارج...

يتضح من هنا أن الأوضاع المتردية في المجتمع الجزائري أجبرت معظم الجزائريين إلى ترك البلاد التي سيطر عليها المحتل و ساد فيها كل مظاهر السوء و انعدام الأمن والاستقرار متجهين إلى بلدان تكون تتمتع بحرية و لو بصورة أصغر مما هي عليه بلادهم.

الأوضاع الثقافية:

أولا: حالة التعليم في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي:

في هذه المرحلة نجد أن "الثقافة العربية في الجزائر منتشرة بين السكان في المدن و الأرياف على حد سواء، و كان يقوم بنشرها أربعة أنواع من المؤسسات و هي: المدارس و المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية، و قد أكد انتشار التعليم و الثقافة عموما في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي الضباط الفرنسيون الذين ذكر بعضهم أن الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر، في حين ذكر البعض الآخر أن سكان الجزائر كانوا أكثر ثقافة من سكان فرنسا..."[1].

و هذا يوضح أن الشعب الجزائري في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي كان متشبع و متمسك بثقافته الإسلامية العربية، حيث أن أبناء الجزائر كانوا يتلقون العلم في مختلف المؤسسات التعليمية التربوية التي كانت سائدة آنذاك، وكان هدفها نشر العلوم و المعارف لأبنائها ليكونوا مجتمع ثقافي متعلم ومزدهر.

و الدليل على ذلك "أن التعليم كان منتشرا و أن كل جزائري تقريبا كان يعرف القراءة و الكتابة، وقد كان التعليم حرا من سيطرت الدولة...، فكان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم و وسائلهم الخاصة تعليم القرآن و الحديث و العلوم العربية الإسلامية، لأن دراسة هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة و فهم أسرار الدين و القرآن و السنة، و لذلك كان القرآن أساسا للتعليم في الجزائر سواء كان تعليما ابتدائيا أو ثانويا أو عالميا..."[2].

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، المرجع السابق، ص:127.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط3، الجزائر، 1982م، ص ص:159-160.

بمعنى أن الشعب الجزائري كان معتمدا على نفسه في عملية نشر و تلقين التعليم لأبنائه متخذا في ذلك القرآن كقاعدة أساسية في كل أطوار التعليم، لأن القرآن هو الذي يمكن الفرد من معرفة حقيقة الكون.

و هكذا كانت حالة الشعب الجزائري التعليمية قبل دخول المستعمر عليه، إذ أن مدارسها كانت عامرة بطلاب العلم و كان لهذه المدارس أساتذة و شيوخ يعملون على توفير و نشر العلم أوساط الطلبة و ذلك من أجل أن تزدهر و تتقدم بلادهم و يقضون على الجهل و الأمية، و بالفعل تحقق ذلك و أن أبناء الجزائر أغلبهم كانوا يجيدون المبادئ الأولية للقراءة و الكتابة، و نستدل هنا بقول الرحالة الألماني **"فيلهم شيمبرا"** حين زار الجزائر في شهر ديسمبر 1831م حيث قال: "لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة و الكتابة غير أنني لم أعثر عليه، في حين أنني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب..."[1].

و هذا القول إن دل على شيء إنما يدل على ازدهار الحالة الثقافية التعليمية للشعب الجزائري التي كانت حقا في الأوج و الازدهار.

ثانيا: حالة التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي:

لقد "انحط المستوى العلمي العام انحطاطا كبيرا، و ذلك نتيجة لازمة لما وقع أثناء الاحتلال من الحروب الطويلة و ارتحال عدة قبائل من أراضيها و اشتداد الضيق ببعضها الآخر، حتى لم تعد تفكر في العلم أو التعليم بل اقتصارهما على تحصيل القوت فلم يحافظ على الحركة العلمية الإسلامية إلا بعض المدرسين في المساجد التي سلمت من الدمار، و إلا بعض الزوايا في جهات الجنوب (الصحراء)"[2].

و الملاحظ هنا أنه عند دخول الاستعمار الفرنسي و فرض سياسته على الجزائر، فإن الحالة التعليمية للبلاد شاهدت تراجع كبير، و مرد ذلك إلى الواقع الاستعماري و سيطرت الإدارة الفرنسية على أماكن التعليم التي كان يرتد إليها المتعلمين و عملت على تخريبها و تدميرها، و هذه الأوضاع التي يعيشها الشعب الجزائري فرضت عليه التخلي عن مجال التعليم و ملاحقة لقمة العيش فقط، وهذا ما جعل المستوى التعليمي يتراجع بشكل كبير، باعتبار أن التعليم هو الخطوة الأولى لتقدم سائر الأمم نحو الأمام.

إضافة إلى ذلك "أحرق الاحتلال كثيرا من المكتبات العلمية الزاخرة بالكتب و المخطوطات، وطمس المعالم و الأسماء الإسلامية و العربية، و أحل بدلا منها معالم و أسماء فرنسية و غربية ونصرانية، و أغلق الكتاتيب و المدارس الابتدائية و الثانوية و العالية التي كان يدرس فيها أكثر من مئة و خمسين ألف طالب، و وضع قيودا على فتح المدارس و قصرها على حفظ القرآن لا غير مع عدم التعرض لتفسير آياته...، و تحريم

[1] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، ط1، الدوحة، حزيران (يونيو) 1997م، ص ص:46-47.

[2] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:121.

دراسة المواد العلمية و الرياضية، كما صادر الاحتلال الأوقاف الإسلامية التي يعتمد عليها التعليم اعتمادا كبيرا"[1].

كل هذه الوسائل التي استعملها المستعمر كانت غايتها هدم الثقافة العربية الإسلامية و منع الجزائريين من التعلم و حرمانهم منه، بغية نشر دينه و لغته و ثقافته، و منه يصبح المجتمع الجزائري مجتمعا فرنسيا، كما نجده أغلق المدارس التي تنشر الدين و الوعي لأبناء الشعب "و افتتح مقابل ذلك عددا من المدارس التي تحقق أهدافه، و تقوم على تعليم الفرنسية و غرس القيم الغربية...، و لم يكن الإقبال عليها في بداية الأمر كبيرا لوعي كثير من الناس بخطورتها"[2]، لأنها كانت تنشر ثقافتها على حساب الثقافة العربية الإسلامية و كان تعليمها تعليما فرنسيا بحتا يلغي اللغة العربية.

و لقد عبر الزعيم المصري **محمد فريد** أثناء زيارته للجزائر عام1901م عن وضع الجزائر المزري بقوله: "إن حالة التعليم في الجزائر سيئة جدا و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية في جميع المعاملات، بل ربما لا تدرس العربية بالمرة مع مضي الزمن، فلا الحكومة تسعى إلى حفظها و لا هي تدع الأهالي يؤلفون الجمعيات لفتح المدارس..."[3].

الملاحظ على وصف محمد فريد لحالة التعليم في الجزائر خلال الاحتلال يشهد لها بالانحطاط والتخلف نظرا لسياسة المستعمر التي كانت سارية على الشعب، و منه فإن اللغة العربية كانت محاصرة و ملغية من طرف المستعمر، و ذلك لأجل اعتبار اللغة الفرنسية هي اللغة الوحيدة التي يجب أن تسود في المجتمع و أن اللغة العربية هي لغة لا فائدة من تعليمها، لذلك كان التعليم تعليما فرنسيا لا عربيا، حيث "تمثلت خطة فرنسا في القضاء على اللغة العربية باعتبارها مقوما أساسيا للشخصية الجزائرية، في تقسيم اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام" لغة دارجة لا قيمة لها، لغة فصيحة اعتبرها لغة أجنبية عن البلاد، و اعتبر الاستعمار الجزائريين اللغة العربية خطأ علميا كبيرا، و لم تكتفي فرنسا بهذا، و إنما قامت بفرنسة جميع مراحل التعليم فرنسة كاملة حتى تبعد اللغة العربية عن معاهد العلم تدريجيا، و تموت اللغة العربية..."[4]، فكانت هذه الخطة المتبعة من طرف المحتل غايتها فصل الأمة الجزائرية عن لغة دينها و لغة شعبها.

ثالثا: حالة التعليم في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي:

[1] مركز البحوث و الدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص:15.
[2] مركز البحوث و الدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر في مطلع القرن العشرين، المرجع السابق، ص:171.
[4] أحمد نبيل بلاسي، الاتجاه العربي الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، المرجع السابق، ص:35.

أما بالنسبة إلى وضعية التعليم بعد الاحتلال "فإن الاستعمار قد قاوم الثقافة الجزائرية بشتى الطرق و الأساليب، لأنه كان يعلم مسبقا أنه لا بقاء له في الجزائر مع وجود هذه الثقافة الأهلية، وهو إذا قضى عليها يفسح المجال لثقافته..."[1].

بمعنى أن ثقافة الأمة الجزائرية كانت مبنية على أسس قوية وسليمة ومبدئها هو الدين الإسلامي و ما ينص عليه القرآن الكريم، لذلك وجد المحتل صعوبة في البقاء وسط شعب متمسك بدينه لا يهاب سياسته، و هذا ما جعل فرنسا تحارب ثقافة الأهالي الإسلامية و هذا كله من أجل نشر ثقافتها الفرنسية الصليبية.

إضافة إلى ذلك فإن "السياسة الفرنسية فيما يتعلق بالناحية التربوية التعليمية كانت ترمي إلى تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الإسلامية العربية و إلى تحويل الشعب الجزائري كله و إدماجه في الحضارة الأوروبية و الثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية، و مقاومة الشريعة الإسلامية..."[2].

و من هنا يتضح لنا أن المحتل الفرنسي حاول أن يجرد المواطن الجزائري من مقوماته التي تتمثل أساسا في اللغة العربية و الدين الإسلامي و الوطن الجزائري، و هذا لجعل الشعب الجزائري شعبا فرنسيا.

كما "عمل الاستعمار الفرنسي للجزائر على تفكيك الأبنية الثقافية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين...، و سادت الأمية في كل مكان... و ترعرعت براعم من الثقافة الفرنسية...، وأصبح واضحا أن فلكا ثقافيا جديدا يأخذ مكان الفلك الثقافي الذاتي..."[3].

بمعنى أن الاحتلال الفرنسي شرع يهدم ثقافة الشعب الجزائري الذاتية، لبناء ثقافة خاصة به تكون خادمة لمصالحه و أغراضه، و من أجل ذلك "قامت الإدارة الفرنسية بهدم و تدمير كل المدارس التي كانت قائمة في ذلك العهد من مساجد و زوايا و كتاتيب، و كل شيء له علاقة بالتعليم و مصادرة الأوقاف و نفي العديد من العلماء إلى الخارج، و تحويل المساجد إلى كنائس..."[4].

و من هنا فإن فرنسا نفذت هدفها و قضت على المؤسسات التعليمية للجزائريين الذين اتخذوا منها مكان للعلم و المعرفة و تنوير العقول، و هدمتها و حولت بعضها إلى كنائس و البعض الآخر إلى ثكنات عسكرية أو ملاهي و هكذا...

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد ابن باديس نموذجا"، المرجع السابق، ص ص:129-130.

[2] عمار طالبي، آثار ابن باديس، مج1، ج1، المرجع السابق، ص:49.

[3] صالح عوض، معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر، دار الزيتونة، د ط، الجزائر، 16 أبريل 1989م، ص ص:213-214.

[4] آسيا بلحسن رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، دراسات نفسية و تربوية، ع:7، جامعة مولود عويمر، تيزي وزو، سبتمبر 2011م، ص:60.

بالإضافة إلى ذلك "سلكت فرنسا في تعليمها للجزائريين منهج الفرنسة و تشويه تاريخ الجزائر حتى تتمكن تدريجيا أولا من إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية و ثانيا القضاء على تراثها العربي الإسلامي، و رغم هذا فإن معظم الجزائريين الذين سجلوا في المدارس الفرنسية لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الابتدائي، و ليس معنى هذا نقص في ذكائهم و لكن رغبة من فرنسا في تجهيلهم ليسهل عليها استعبادهم..."[1].

و الملاحظ على سياسة فرنسا التي نهجتها في المجال التعليمي أنها كانت تشجع على نشر اللغة الدارجة العامية بدل اللغة العربية الفصحى، و هذا يجرد الفرد الجزائري من لغته، بحيث "تحدث محمد فريد عن التعليم فقال: و صارت الديار مرتعا للجهل و الجهلاء، و كادت تدرس معالم اللغة العربية الفصحى، و تطرقت إلى اللغة العامية الكلمات الأجنبية بل أصبحت اللغة الفرنساوية هي لغة التخاطب في العواصم مثل: وهران و قسنطينة و عنابة، و غيرها من السواحل و الثغور"[2].

تطرقنا في هذا الفصل إلى حياة العلامة ابن باديس و رحلاته التي خاضها من أجل المعرفة و العلم و جملة من أعماله و مؤلفاته، بالإضافة إلى ذلك تعرفنا على المنابع الأولى التي استمد منها فكره والمميزات التي انطبع بها، و كذا تعرفنا على البيئة الاستعمارية التي ولد فيها و حاول إخراج أمته الجزائرية من الأوضاع المزرية التي يعيشها، لهذا كان فكره مبني على الواقع الذي عاشه و حاول إصلاحه إلى الأفضل، و هذا ما يقودنا إلى الحديث عن الفكرة الإصلاحية عنده و هي التي سنتحدث عنها في الفصل الثاني.

[1] عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص:126.
[2] مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني و الزعيم السياسي، المرجع السابق، ص:26.

الفصل الثاني:
فكرة الإصلاح عند عبد الحميد ابن باديس من حيث "الجذور، المفهوم والمنهج"

تمهيد الفصل.

المبحث الأول: فكرة الإصلاح عند عبد المجيد ابن بايس من حيث الجذور.

المبحث الثاني: مفهوم الإصلاح عند ابن باديس.

المبحث الثالث: المنهج الإصلاح عند عبد الحميد ابن باديس.

خلاصة الفصل.

جاء العلامة عبد الحميد بن باديس في زمن كانت فيه الجزائر تحت قبضة المستعمر الفرنسي و كان هو السيد آنذاك، حيث عمل بكل ما في وسعه للقضاء على الأمة الجزائرية و محو مقوماتها و كذا التضييق على رجالها بالسيطرة على تفكيرهم و تغيير ثقافتهم و عقليتهم مع ما يتناسب و سياسته، و منه فإن الجزائر عاشت فترة من التردي و الانحطاط بسبب المحتل الفرنسي، إلا أن هذه الأوضاع لم تكن لتضعف نشاط ابن باديس بل العكس من ذلك فإنها كانت دافعا و حافزا له، جعلته يفكر في مشروع إصلاحي كانت نقطة الانطلاق فيه هي هذا الواقع المزري المعاش و الذي يشهد مرحلة من الظلام، من هنا أخذ ابن باديس ينادي بفكرة الإصلاح و ذلك بغية تغيير الوضعية المعاشة في تلك الفترة، و سنحاول في هذا الفصل الوقوف عند أبرز المصلحين الذين تأثر بهم ابن باديس في الإصلاح، و ذلك لكي نتعرف على فكره الإصلاحي و القدرة على فهمه، بالإضافة إلى ذلك سنتطرق إلى مفهوم الإصلاح كمصطلح و معرفة أبرز مجالاته و كذا المنهج الذي اتبعه العلامة ابن باديس في الإصلاح.

المبحث الأول: فكرة الإصلاح عند عبد الحميد بن باديس من حيث الجذور.

إن كل مفكر أو مصلح لابد أن تكون أفكاره وليدة عصره و مجتمعه، كونه فردا متفاعلا مع وقائع شعبه و الظروف التي يعاني منها، من هنا أخذ مصلحنا الجزائري ابن باديس ينادي بالإصلاح، ذلك من أجل تغيير الأوضاع المزرية و النهوض بالوطن الجزائري.

إلا أن فكرة الإصلاح لم تكن عند ابن باديس دون غيره من رجال الإصلاح، بل كانت سابقا مع العديد من المفكرين الذين خاضوا في المجال الإصلاحي، سواء كان على المستوى الديني أو الاجتماعي و السياسي أو التربوي و ما إلى ذلك.

و نذكر هنا بإيجاز أهم ما جاء في فكرهم الإصلاحي.

أولا: بن تيمية.

هو أحمد تقي الدين بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية[1]، فقيه حنبلي، و إمام سلفي، ولد في حران سنة 661ه/ 1263م، و مات في دمشق سنة 728ه/ 1328م[2].

كان العصر الذي عاش فيه ابن تيمية "يموج بالاضطراب الديني و السياسي، و تعرضت فيه البلاد الإسلامية لغزوها من الداخل و الخارج..."[3].

و من مظاهر الفساد التي كانت تعم البلاد بصفة عامة نذكر منها:

- ❖ غزو الصليبيين بلاد المسلمين.
- ❖ الانقسام الداخلي في دول المسلمين.
- ❖ فساد الملوك و الأمراء، و بعدهم عن الإسلام.
- ❖ شيوع التقليد الجامد.
- ❖ انتشار الشعوذة و الهرطقة و الإلحاد و الزندقة في أوساط المسلمين[4].

[1] أحمد محمد العليمي، ابن تيمية محدثا، دار ابن الحزم، ط1، بيروت، لبنان، 2002م، ص:19.
[2] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص:19.
[3] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، دار ابن الأثير، ج1، ط2، الكويت، 1996م، ص:76.
[4] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، المرجع نفسه، ص ص:76-77.

يتضح من هنا أن ابن تيمية كانت نشأته في بيئة ملأها الفساد و الابتعاد عن الدين الإسلامي، و شاعت فيها البدع و الخرافات و كذا الإلحاد بين المسلمين، و هذه المظاهر و الأوضاع كانت تهدد الأمة بداية من أوساطها، و في ظل هذه الأوضاع الفاسدة حاول ابن تيمية رحمه الله أقامت عملية إصلاح لها.

حيث تمثلت عملية إصلاح ابن تيمية في "شن حملة شعواء على أهل الأهواء و البدع من الزنادقة و الملاحدة... و المشعوذين، و حارب العقائد الشركية و المعتقدات الوثنية و نقد المسيحية و اليهودية نقدا علميا و فند المغالطات العلمية، و الألغاز المنتشرة في الطوائف الدينية و رد على التقليد الجامد... و نقى العقائد الإسلامية من الشوائب، و دعا إلى الدين الخالص"[1].

و الملاحظ على ابن تيمية أنه عمل من أجل الدعوة إلى رفض كل البدع و الشوائب التي انتشرت في البلاد بسبب المذاهب المعارضة لبعضها البعض، فحاربها لكي يخلص البلاد منها، و بهذا يعود الدين إلى صورته الأولى النقية التي كان عليها.

حيث أن دعوته هذه لم تكن من فراغ، بل وضع لها منهج تسير في اتجاهه، و هذا المنهج هو "منهج السلف الصالح من الصحابة و التابعين، و من بعدهم من أعلام هذه الأمة "[2].

و تميز منهج ابن تيمية هذا بعدة مميزات نذكر بعضها:

أنه يخلو من سوابق الأنانية و حب الذات، و رواسب التعصب و التحيز، و مفاسد الجمود والركود...، و ينبني على إتباع الأدلة من الكتاب و السنة، اللذين يضمنان حياة سعيدة مستقيمة لا شقاء فيها و لا عناء، و لا انحراف فيها و لا ضلال، و يتمثلها حديث: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله و سنة نبيه"[3].

و هكذا فإن دعوة ابن تيمية المتمثلة في إصلاح الأوضاع الفاسدة و العمل على تجديدها و تحسينها للأفضل كانت مبنية على منهج قوي، يستند بالدرجة الأولى على القرآن و السنّة النبوية.

كما "أكد ابن تيمية على صلاح أولي الأمر كضرورة لصلاح الأمة و المجتمع، فقال: و أولوا الأمر صنفان: الأمراء و العلماء و هم الذين إذا صلحوا صلح الناس، فعلى كل منهما أن يتحرى ما يقوله ويفعله طاعة الله و رسوله و إتباع كتاب الله"[4].

يتضح أن ابن تيمية جعل صلاح الأمة بأكملها نتيجة حتمية لصلاح الأمراء و العلماء، لأن الأمراء و العلماء هم الذين ترتكز عليهم الأمة، و بالتالي فإن صلاحهم و استقامتهم و الالتزام بكتاب الله في أمورهم يجعل بقية أفراد المجتمع بضرورة الحال صالحين.

---

[1] المرجع نفسه، ص:78.

[2] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، المرجع نفسه، ص:84.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] على المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة "1798م، 1914م"، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، 1987م، ص:38.

إضافة إلى ذلك "ركز شيخ الإسلام في كتاباته على تصفية العقيدة من أكدار الشرك و الوثنية والبدع و الخرافات و الأساطير و الأوهام، كما أولى اهتماما كبيرا في كتاباته لتخليص الأمة من التقليد الأعمى، و إذا تحقق هذان الجانبان(العقيدة و إتباع الدليل) في الأمة الإسلامية، استقام مصيرها على الدرب السليم الذي يؤدي إلى منهج الأنبياء في الدعوة و الإرشاد"[1].

بمعنى أن استقامة الأمة الإسلامية من استقامة العقيدة، هذه الأخيرة وجب تنقيتها و خلاصها من مظاهر الشرك و البدع و الخرافة، و كل ما يسئ و يشوه صورتها و تعاليمها لكي تكون الأمة المسلمة مبنية على عقيدة طاهرة نقية، و هذا ما يجعلها تسير في طريق سليم خال من الشرك و المظاهر المنافية للعقيدة الإسلامية.

كذلك "اعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الواجبات الدينية جزء مكمل للحياة الاجتماعية، و أن أركان الإسلام الخمسة تتجسد في العدل الاجتماعي، و لتجسيد النظام الاجتماعي في واقع الحياة، وتسهيل تصوره عمل شيخ الإسلام على إشاعة نظام التربية على منهج أهل السنة ضد النظم التربوية الأخرى..."[2].

و هكذا فإن دعوة ابن تيمية كانت " تشمل جميع نواحي الحياة الإنسانية من العقيدة و العبادة والمنهج و السلوك و التعليم و التربية و المعيشة و الاقتصاد و السياسة و الاجتماع، و الحكم و الجهاد في سبيل الله عز و جل..."[3].

إذن فإن شيخ الإسلام ابن تيمية لم تكن دعوته مقتصرة في جانب دون سواه بل أنها كانت متعددة و شاملة لكل جوانب الحياة البشرية.

ثانيا: محمد بن عبد الوهاب:

محمد بن عبد الوهاب "مصلح ديني و مؤسس الوهابية الداعية إلى تحرير الإسلام من الشوائب الطارئة عليه، ولد في قرية العيينة بنجد سنة 1115ه/ 1703م توفي سنة 1206ه/1792م، نشط في الدعوة إلى العودة بالإسلام إلى صفائه الأصلي"[4].

و قد "كانت دعوة محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر امتدادا لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية التي ظهرت في القرنين السابع و الثامن، و قد تأثر بها الإمام لموافقتها مع أصول الإسلام في العقائد و الأحكام"[1].

[1] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، المرجع السابق، ص:280.
[2] المرجع نفسه، ص ص:88-89.
[3] المرجع نفسه، ص:189.
[4] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص:631.

فإن دعوة محمد بن عبد الوهاب "تلقاها المسلمون بالإعجاب و القبول، و انتشرت انتشارا واسعا، و تأثر بها كثير من الدعاة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي شرقا و غربا، و قامت الثورات على أيديهم ضد البدع و التقاليد التي كانت تسود المجتمع المسلم"[2].

من هنا يتضح أن دعوة محمد بن عبد الوهاب كانت تستمد أفكارها من دعوة ابن تيمية، و أن المسلمين أقبلوا نحوها كونها ترفض كل صور البدع و أشكال التقاليد التي انتشرت آنذاك بين المسلمين و أدت إلى ضعفهم في العقيدة الإسلامية.

و يرجع محمد بن عبد الوهاب "سبب ضعف المسلمين و تأخرهم إلى ضعف عقيدتهم و تدهور أخلاقهم، و رأى الحل الناجع لإصلاح أوضاعهم في العودة إلى القرآن و السنّة النبوية"[3]، و هكذا حدد محمد بن عبد الوهاب دواء المسلمين في القرآن الكريم و سنّة نبيه.

و نجده بنا تعاليمه على[4]:

- ❖ محاربة البدع و ما دخل على العقيدة الإسلامية من فساد بإشراك الأولياء و القبور و الأضرحة مع الله تعالى.
- ❖ فتح باب الجهاد الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين.

حيث كان محمد بن عبد الوهاب يحث على العودة "إلى الإسلام في بساطته الأولى و طهارته و نقائه و وحدانيته و اتصال العبد بربه من غير واسطة و لا شريك"[5].

بمعنى أن إصلاح محمد بن عبد الوهاب كان يدعوا إلى الرجوع إلى الدين الإسلامي و التمسك به، وأن تكون علاقة الإنسان بربه علاقة مباشرة لا يتدخل فيها أي طرف آخر.

و تقوم دعوته على جملة من المبادئ يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- ❖ توحيد الله تعالى في عبادته و توحيده في ربوبيته و توحيده في أسمائه و صفاته، إقرار هذا المبدأ قولا و عملا، و البعد عن جميع مظاهر الشرك و الوثنية و الرفض و التصوف و الإلحاد والزندقة التي تكدر نقاوة الإسلام و تشوه جماله.
- ❖ التمسك بمنهج السلف المبني على الكتاب و السنّة في العقائد و الأحكام.
- ❖ الجهاد في سبيل الله لنشر الدعوة حينا و لحمايتها حينا آخر[1].

---

[1] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، المرجع السابق، ص:136.

[2] المرجع نفسه، ص ص:139-140.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، المرجع السابق، ص:275.

[4] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة وموقف الخصوم منها، المرجع السابق، ص:208.

[5] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة الهنداوي، د ط، القاهرة، 2012م، ص:10.

إذن فإن دعوة محمد بن عبد الوهاب في مجملها تقوم على التمسك بالإسلام الصحيح والابتعاد عن كل مظاهر البدع والخرافة والرذائل و منه السير على منهج سلفنا الصالح.

كذلك اتجه محمد بن عبد الوهاب في نشاطه الإصلاحي إلى "العقيدة وحدها والروح وحدها، فعنده أن العقيدة و الروح هما الأساس وهما القلب إن صلحا صلح كل شيء، و إن فسدا فسد كل شيء..."[2].

إضافة إلى ذلك فإن محمد بن عبد الوهاب "قاوم العادات التي كانت منتشرة في العالم العربي مثل: التبرك بالأولياء و التمسح بالمشائخ و التقرب إلى الله بزيارة قبور الصالحين، و اعتبر ذلك كله مظهرا من مظاهر الشرك"[3].

بمعنى أنه حارب كل السلوكات و التصرفات التي من شأنها تسئ إلى الدين الإسلامي، و هذا لتطهيره و تنقيته ليكون الأساس المعتمد في كل شيء.

وترتكز دعوة محمد بن عبد الوهاب على ثلاثة مصادر رئيسية، وهي:

1) القرآن الكريم.
2) السنّة النبوية.
3) آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإعلام...[4].

والملاحظ على مصادر دعوة محمد بن عبد الوهاب أنها مستلهمة من ديننا و سنتنا وعقيدتنا الإسلامية، لهذا نجد أن "صدى هذه الدعوة وصل إلى أغلب أقطار دول العالم مثل: مصر، ليبيا، الجزائر، السودان، و غرب إفريقيا و غيرها من المناطق في بلاد إفريقيا "[5]، من هنا يتضح أن محمد بن عبد الوهاب كان له تأثير كبير في نفوس المفكرين الذي عاصروه، لأن أفكاره الإصلاحية كانت تدور في جملتها حول الإسلام و ما طرأ عليه من تحريفات، والدليل على ذلك "أن الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي مدينة لدعوة الإمام بن عبد الوهاب الذي سلك منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الكتاب والسنّة، و شرح المنهج السلفي في كتبه ورسائله"[6].

---

[1] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، المرجع السابق، ص ص:129-130.

[2] أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المرجع السابق، ص:11.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، المرجع السابق، ص:276.

[4] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، المرجع السابق، ص:130.

[5] المرجع نفسه، ص:140-141.

[6] صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، المرجع نفسه، ص:146.

وبالتالي فإن هدف محمد بن عبد الوهاب من دعوته يتمركز في "إعادة الإسلام إلى نقاوته الأولى، و إزالة أنقاض البدع والخرافات التي غشت العقيدة الصحيحة "[1].

من هنا ندرك أنه يدعو إلى إصلاح ما أصاب الإسلام من انحراف وانتشار البدعة والخرافة فيه، واعتمد في دعوته على القرآن الكريم وكذا السنّة وفهم السلف الصالح.

إذن كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أبرز الدعاة المصلحين الذين جاهدوا في سبيل إصلاح الأوضاع التي تفشى فيها الفساد والانحراف بداية من الدين الإسلامي، وهذا الأخير هو أساس كل إصلاح حسب مفكري الإسلام، والتمسك به يساعدهم على تجاوز الخرافات والبدع السائدة في عصرهم آنذاك.

3: جمال الدين الأفغاني:

يعد جمال الدين الأفغاني "كاتب وفيلسوف وسياسي ومصلح إسلامي، من أصل أفغاني أو فارسي، ولد في قرية أسعد أباد الأفغانية سنة1254ه، 1838م، و مات في الأستانة 1315ه، 1897م"[2].

إن جمال الدين الأفغاني "يستبعد صلاحية الحضارة الغربية، لأنها انحرفت عن الروح الدينية التي تؤدي وحدها إلى التقدم الحقيقي المرادف للكمال، و بدلا من أن يدعو المسلمين إلى الأخذ بالحضارة الغربية و استيعاب الوضعية العقلانية لها، طالبهم بالعودة إلى دينهم الإسلامي الذي هجروه فإذا كان الشر يكمن في الابتعاد عن الدين أو في ضعف الشعور الديني، فإن العلاج يكون في التوجه أكثر نحو الدين..."[3].

إضافة إلى ذلك "اعتقد الأفغاني و أصحابه أن الله جعل بقاء الأمم و نمائها في التحلي بالفضائل، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها سنّة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم و لا تتبدل بتبدل الأجيال و الفضائل..."[4].

يتضح أن الأفغاني ينادي بضرورة العودة إلى الدين الإسلامي من أجل النهوض و التقدم، ويرجع كل أسباب التخلف و التدهور التي يعيشها المسلمين إلى سبب الابتعاد و مفارقة المبادئ الدينية، و يضيف أن الحضارة الغربية لا يمكن إصلاحها لأنها بعيدة كليا عن الدين الإسلامي.

مبادئ دعوة جمال الدين الأفغاني الإصلاحية:

1) "أن استرجاع عزة المسلمين و قوتهم رهن بالعودة إلى دينهم النقي...، و قد أجمل عوامل النهوض بالأمم بتحرير العقل من الخراقات و الأوهام و توجيه النفوس وجهة الشرف و الطموح و دعم العقائد الدينية بالأدلة و البرهان و تهذيب الأفراد و تأديبهم،

[1] المرجع نفسه، ص:131.
[2] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص:69.
[3] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نمزذجا"، المرجع السابق، ص:293.
[4] جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، العروة الوثقى، مكتبة الشروق الدولية، ج1، القاهرة، 2002م، ص:73.

و قال أن جميع هذه العوامل متوفرة بالإسلام"[1]؛ هذا يدل على أن ديننا الإسلامي يحتوي على القوة التي تمكن المسلمين من تجاوز كل مظاهر الانحطاط والتخلف إلى مظاهر التقدم و الرقي، و هذا كله بالعودة إلى الإسلام النقي.

2) "تحرير الفكر الديني من قيود التقليد و فتح باب الاجتهاد "[2]؛ بمعنى أن الدين سيطر عليه التقليد، لذا وجب تخليصه من التقليد الذي قد يشوهه، و منه الاجتهاد فيه.
3) "التوفيق بين العلم و الإيمان، يعتقد الأفغاني أن لا خلاف بين ما جاء في القرآن و الحقائق العلمية أما إذا برز خلاف ما فذلك دلالة على عجز في تفسير الآيات القرآنية، و يقترح حل هذا الإشكال باعتماد التأويل"[3]؛ بمعنى أن الأفغاني جعل ما جاء به العلم و ما ينص عليه الدين متوافقان لحد كبير، و في حالة وقوع اختلال وجب علينا التوجه نحو التأويل و تفسير القرآن.
4) "التدقيق في النصوص الدينية و استخلاص الصحيح منها و ذلك بالاعتماد على القرآن في المقام الأول و على الحديث المتواتر و اعتباره من درجة القرآن في إثبات الحكم، و على إجماع المسلمين في صدر الإسلام"[4].
5) "رفض تقليد الغرب في مختلف نواحي الحياة دون ضرورة و بلا تمحيص و إمعان"[5].
6) "اطلاع العلماء المسلمين على التيارات الفكرية الحديثة ضرورة لابد منها، بقبول ما يتفق والشريعة الإسلامية و يفيد المسلمين في حياتهم، و رفض ما يتعارض و عقيدتهم و رفضهم بالحجج العقلية و البراهين المنطقية"[6]؛ هذا يعني أن على المسلمين التفتح على الغير و ذلك لاقتناء ما يلزمهم و يفيدهم و اجتناب ما يضرهم و يتعارض و حضارتهم .

إضافة إلى ذلك فإن الأفغاني اعتبر "بأن الإسلام و العلم متوافقان، إذ أن الإسلام لم يرد خنق العلم أو توقيف الحركة الفكرية، كما آمن الأفغاني بضرورة ترويج مذهب الإرادة الحرة كوسيلة لتحقيق الحرية الدينية و السياسة من التقدم، و بينما تحول فهم الإسلام إلى تقليد نظر الأفغاني للمبادئ الإسلامية الأساسية على أنها متوافقة مع العلوم و التطور الحديث..."[7].

بمعنى أن الأفغاني جعل طريق الإسلام و العلم واحد، حيث أن الإسلام يدعو إلى تحقيق الحرية والتقدم و هذا أيضا مبتغى العلم فهو ينادي باستخدام الإرادة كقوة و أداة لبلوغ الحرية الدينية والسياسية، حيث "رأى الأفغاني في الإسلام دين عقل، و شجع الناس على استعمال قواهم العقلية بحرية، ثقة منه بأن ما سيكتشفونه بها لن يتعارض و الحقائق المنزلة بواسطة النبوة، فالإسلام وحده بين الأديان الكبرى الذي يحرر العقل البشري من الأوهام و الخرافات و يسمح له بإنماء جميع ملكاته..."[8]؛ و هذا يعني أن العقل هو ملكة

[1] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798م، 1914م، المرجع السابق، ص:73.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798م، 1914م، المرجع نفسه، ص:74.
[4] المرجع نفسه، ص:75.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[6] المرجع نفسه، ص:76.
[7] عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر "1954، 1956"، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر3، 2010م، 2012م، د ص.
[8] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص:70.

فطرية في الإنسان، من خلالها يدرك و يمعن في الحقائق القرآنية و يكتشف أسرارها و خباياها لكي يستطيع فهم الحياة و تجاوز كل الأخطاء و مظاهر الشرك و البدع.

و نجد أن الأفغاني "اتخذ من تجديد الإسلام أداة لتجديد حياة الشرق و الشرقيين، و اتخذ من الثورة سبيلا تصل الجماهير عن طريقه إلى مواقع السلطة و السلطان كي تملك بيدها مصائرها وتحرر طاقتها، و استهدف من وراء كل ذلك أن يبعث روح المقاومة في الشرق كي يصد الغزو الاستعماري الأوروبي الذي كان أخذا في الزحف على بلاده، و شعوبه و قيمه و حضارته في ذلك الحين"[1]؛ و من هنا يعتقد الأفغاني أن الثورة هي الطريق الموصل إلى تحرير البلاد من الاحتلال الذي سيطر على الأمة و أن تجديد الإسلام من تجديد الحياة الإنسانية للشرقيين عامة.

إذن فإن الأفغاني "كان ثوريا يرى الثورة هي الوسيلة الأجدى و الأفعل في بلوغ الغاية التي حددها كإستراتيجية لشعوب الشرق في ذلك الحين..."[2]، يتضح من هنا أن السبيل لخلاص الشعوب الشرقية وحصولها على التحرر في المجال السياسي حسب الأفغاني هو الثورة ، و الذي يدل على هذا أنه "تنقل من بلد إلى بلد و في كل موضع حل به أثار المعارك العاصفة فبقى غبارها و آثارها عند لحظة نفيه أو ترحيله من هذا البلد إلى ذاك، فترك في كل موطن جذوة من النار و الثورة مشتعلة في وجه الفساد و الظلم و الطغيان"[3].

و تتجسد الغاية من حركة جمال الدين الأفغاني في "تحرير البلاد الإسلامية من كل أشكال الظلم والاستبداد، و العمل من أجل نهضتها و تحقيق وحدتها و محاربة كل ما يعوقها عن التقدم، فإن المحرك الأساسي في هذه الحركة هو نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة و بث الوعي القومي و الروح الثورية في نفوس المسلمين، و هذا ما كانت تدعو إليه مجلة العروة الوثقى"[4].

إذن فإن هدف الأفغاني من حركته التي أقامها يدور حول خلاص الأمة الإسلامية من مرحلة الظلام إلى مرحلة النور و بهذا تتقدم و تتطور، معتمدة على الدين الصحيح و انتشار الوعي بين أفرادها بالوضعية التي تعيشها.

وبالتالي فإن "صيحة جمال الدين الأفغاني هزت النفوس الجامدة و أيقضت الضمائر النائمة ونبهت من كانوا في غفلة من أمور دينهم و مجتمعاتهم، و وضعت العلماء أمم مسؤولياتهم إذ كانت تمزج بين الاهتمام بالنضال السياسي و الاهتمام بالنضال الديني و الفكري، لأنهما متكاملان يؤثر أحدهما في الأخر"[5]، والملاحظة من هذه الفقرة أن المصلح جمال الدين الأفغاني كانت لدعوته صدى كبير في نفوس وضمائر المسلمين لما آلت إليه أوضاع بلادهم سواء على المستوى الديني أو على المستوى السياسي، فدعاهم

[1] محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، دار الشروق، ج1، ط1، بيروت، القاهرة، 1993م، ص:14.
[2] المرجع نفسه، ص:41.
[3] صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، ط1، القاهرة، 2001م، ص:36.
[4] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، د ط، الجزائر، 1998م، ص:21.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إلى النظر إلى هذه الوضعية التي هم فيها وإيجاد مخرج منها نحو الأفضل، فهو لم يهتم بالجانب السياسي لوحده دون الجانب الديني والفكري بل جمع بينهما على أساس أن الواحد فيهم يكمل الآخر، و بواسطتهما تنهض المجتمعات من حالة الجهود التي هي فيها.

4: محمد عبده:

هو "مفكر نهضوي وفقيه مصري، ولد في قرية محلة نصر عام 1266ه،1849م، توفي في القاهرة عام 1322ه،1905م، و كان رائدا للتفسير العصري للإسلام...، قاوم التأثير الأوروبي، سعى إلى تأويل عقلاني للقرآن، رفض الثورة مستبدلا إياها بالإصلاح"[1].

حيث كانت "نقطة الانطلاق في تفكير الشيخ محمد عبده هي الانحلال الداخلي و الحاجة إلى التجديد في الإسلام، لم يبحث عن الخلاص الفردي بل كان يسعى إلى إقامة المجتمع الصالح"[2].

يتضح أن محمد عبده انطلق من داخل المجتمع حيث الأوضاع المتردية في المستوى الديني من انحلال و ضياع، وبالتالي وجب إصلاح هذه البيئة بتجديد الدين الإسلامي لكي يتحقق بناء مجتمع سليم و صالح، و في هذا المجال "دعا إلى التعاون على الخير و حبذ فكرة الحرية و رفع المظالم عن الأهالي، و عاب على الشعب كله و نادى بإصلاح التعليم و التربية في المدارس...، وعالج إصلاح منتدياتنا و إصلاح بيوتنا..."[3].

يمكن القول من هذا المنظور أن محمد عبده "ركز على الإصلاح لا على الثورة، و اهتم بقضايا التربية و تكوين الصفوة بدلا من التهييج الذي يستهدف تحريك العامة و الشعب ضد أعداء الأمة"[4]، وهذا يشير إلى أن محمد عبده خالف أستاذه جمال الدين الأفغاني الذي رأى أن الثورة هي السبيل لخلاص المجتمع مما هو فيه، أما محمد عبده فإنه استند إلى الإصلاح من أجل تغيير الأوضاع التي يعانيها الشعب، "فقد حاول أن يخلص ديننا الحنيف من كل ما يعوق نهضته و يكبل انطلاقته"[5].

من هنا اعتمد محمد عبده في إصلاحه الديني على جملة من الأسس نذكر بعضها:

---

[1] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، المرجع السابق، ص:417.
[2] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798م، 1914م، المرجع السابق، ص:81.
[3] أحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي، د ط، د ب ن،2017م، ص:115.
[4] صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، المرجع السابق، ص:66.
[5] المرجع نفسه، ص:64.

1. تطهير الإسلام من البدع و الضلالات و العودة به إلى نقائه الأول...، و كان يخشى من استمرار التقليد، و تعذر محو البدع و الضلالات التي دخلت الإسلام، و يخاف على العقيدة أن تنهار بسبب طغيان الفكر الغربي الحديث.
2. التوفيق بين الدين و العلم و دعا إلى التوازن بين العلم و الإيمان.
3. الدفاع عن الإسلام ضد التأثيرات الغربية، و ضد حملات المبشرين المسيحيين خاصة[1].

و هذه كانت من أبرز الأسس التي بنا عليها محمد عبده إصلاحه في المجال الديني، أما فكره الإصلاحي بصفة عامة لخصه في مجمل دعوته، فقال "ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

الأمر الأول: تحرير الفكر من قيد التقاليد، و فهم الدين على طريقة سلف الأمة...، و الرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى.

الأمر الثاني: إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية أو المراسلات بين الناس"[2].

و منه يتضح أن فكر محمد عبده الإصلاحي يركز على إصلاح الدين و ذلك برده إلى صورته الأولية هذا من جهة و إلى إصلاح اللغة العربية من جهة أخرى...

و قد كان "سبيل الأستاذ في الإصلاح هو سبيل التدرج، يريد أن يحفظ للأمة عوائدها الكلية المقررة في عقول أفرادها، ثم يطلب بعض التحسينات فيها لا تبعد عنها بالمرة، فإذا اعتادوها طلب منهم ما هو أرقى حتى لا يمضي زمن طويل إلا و قد انخلعوا عن عاداتهم و أفكارهم المنحطة إلى ما هو أرقى من حيث لا يشعرون"[3]؛ و هنا نستشف أن إصلاح محمد عبده كان بالتجزئة، فكلما تأقلم أفراد المجتمع مع فكرة أضاف لهم فكرة أخرى، و هذا حسب عبده يساعدهم في قبول الإصلاحات بشكل بسيط و واضح، و هكذا يعرف المجتمع تطور من حيث لا يشعر و أن النهضة و الإصلاح تتحقق بالتوجه نحو "نبذ التقليد و إلى النظر العقلي و إلى الاجتهاد و التجديد"[4].

ذكرنا سابقا أن ابن باديس سلك طريق محمد عبده في مجال الإصلاح و التربية و التعليم، حيث نجد "الإمام عبده يصر في عمله الإصلاحي على أن التربية و التعليم هما أساس النجاح في كل مشروع سياسي أو اجتماعي..."[5]؛ يتضح لنا أن المصلح المصري محمد عبده جعل من التربية و التعليم شرطا لأي عمل إصلاحي و نجاحه.

---

[1] علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798م، 1914م، المرجع السابق، ص ص:82-84.

[2] عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر"1954م، 1956م"، المرجع السابق، د ص.

[3] أحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، المرجع السابق، ص:115.

[4] صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، المرجع السابق، ص:68.

[5] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر "محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، المرجع السابق، ص:347

و هو "يعتقد أن الأولوية في كل شيء ينبغي أن تعطى للتربية و التعليم، و بل يمكن التغاضي حتى عن وجود مفاسد اجتماعية و اقتصادية و سياسية من أجل تأسيس العملية التربوية و السير نحو المستقبل، لأنه إذا انتشرت التربية و التعليم يمكن للمجتمع أن يستأصل جذور كل المفاسد والانحرافات مهما كان نوعها..."[1].

و منه أراد محمد عبده أن يبلغ مجتمعه فكرة مفادها أن التربية و التعليم هما الوسيلة الأولى والفعالة التي تخلص المجتمع من الحالة التي هو فيها، كما تمكنه هذه الوسيلة من تجاوز كل الأوضاع المنحرفة و الفاسدة أوساط أبناء وطنه، و من ثمة إصلاح المجتمع.

حيث يرى محمد عبده أن "التربية هي العصا السحرية التي تغير كل شيء، و تبدل كل سلبي فتجعله ايجابيا وتعدل كل منقوص فتجعله كاملا و تطلق كل مقيد فتجعله متحررا"[2].

و الملاحظ على رؤية محمد عبده هذه أن كل شيء في المجتمع يتم إصلاحه و تعديله إلا عن طريق التربية، و هذه الأخيرة عند عبده هي أساس و مبدأ كل إصلاح إضافة إلى الدين الإسلامي و منابعه الأولى.

و منه نجد أن محمد عبده "اعتبر أن الإنسان لا يكون إنسانا حقيقيا إلا بالتربية، و هي عبارة عن السعادة الحقيقية، فإذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره و أحب غيره لأجل أن يحب نفسه"[3]؛ بمعنى أن محمد عبده حصر سعادة الإنسان في التربية، و أنه عندما يحب نفسه فإنه يحب غيره بالضرورة و حب غيره يكون نتيجة لحب نفسه.

و ما يؤكد هذا قوله الآتي: "أن الإنسان إذا افتقد التربية افتقد كل شيء، فلن يستطيع أن يتحلى بالعدل أو الغنى أو الكمال إلا إذا كان مصقولا بالتربية و التعليم..."[4]؛ و من هنا يتبين بأن للتربية مكانة بارزة عند محمد عبده حيث جعلها هي كل شيء في حياة الإنسان.

و التربية التي نادى بها محمد عبده في مشروعه الإصلاحي التربوي هي "تربية تستند إلى الدين وتنبع من تعاليمه و تتصل به بسبب وثيق، ذلك لأن الرجل يرى أن أي إصلاح للشرق و الشرقيين لا بد أن يستند إلى الدين حتى يكون سهل القبول شديد الرسوخ عميق الجذور في نفوس الناس"[5].

و بالتالي فإن "صيحة الإمام تجتنب في البداية الخوض في المسائل السياسية و الجهاد المادي قبل أن تتهيأ الظروف، و ركزت اهتمامها الأكبر على الإصلاح الديني و الإرشاد التربوي، و الدعوة إلى الرجوع إلى منابع الإسلام الصافية و اعتمادها في تربية الأجيال و إيقاظ وعيها، كما ركزت على توضيح حقائق الإسلام التي اختلطت على الناس بسبب الجمود الفكري و الفساد الاجتماعي و انتشار البدع و الخرافات"[6].

---

[1] المرجع نفسه، ص:348.
[2] محمد عمارة، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، دار الشروق، ط2، القاهرة، 1988م، ص:213.
[3] محمد عمارة، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، المرجع نفسه، ص:215.
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] المرجع نفسه، ص:222.
[6] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص ص:20-21.

و هكذا فإن محمد عبده كانت سائدة في عصره مظاهر الظلم و الفساد و الجمود...، و في ظل هذه المظاهر أخذ ينادي بالإصلاح في المجال الديني ذلك بنشر تعاليم الدين الإسلامي و الاعتماد على الدين في المجال التربوي لتجاوز مرحلة الجمود و الانغلاق الفكري الذي تسرب إلى عقول أفراد المجتمع بسبب هذه المظاهر، و منه فإن محمد عبده "يرى أن البداية يجب أن تنطلق من تصحيح العقيدة و نشر التعليم، و محاربة البدع و نشر الوعي..."[1].

5:عبد الحميد ابن باديس:

عاش العلامة ابن باديس أوضاع عصره سواء في مرحلته الأولى من طلب العلم في مدينة قسنطينة، أو خلال رحلاته الأخرى إلى تونس و الحجاز و بقية الأقطار العربية، وكان دائم التفكير رفقة زملائه المصلحين ذلك من أجل إيجاد دواء للداء الذي أصاب وطنه في شتى الميادين، و كان هذا الداء نتيجة لسياسة المستعمر الفرنسي الغاشم، الذي عمل بكل ما في وسعه لتدمير الأمة الجزائرية في دينها و لغتها و ثقافتها و اقتصادها... و ما إلى ذلك.

ومن هنا كان تفكير ابن باديس نابع من الواقع المعاش المتردي، و في هذا الصدد يقول ابن باديس: "رأينا كما يرى كل مبصر ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق و فساد في العقيدة، و جمود في الفكر، و قعود عن العمل، و انحلال في الوحدة...، حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم المتقدة، و ماتت الهمم الوثابة، و دفنت الآمال في صدور الرجال، و ابتلى القنوط القاتل و اليأس المميت، فأحاطت بنا الويلات من كل جهة وانصبت علينا المصائب من كل جانب"[2].

و الملاحظ على قول ابن باديس أن الفساد و التخلف ساد في كل المجالات، و في ظل هذه الأوضاع نادى ابن باديس بضرورة الإصلاح، هذا الأخير يعتبر "ضرورة تاريخية، فقد اتفق ابن باديس مع المصلحين السابقين(جمال الدين الأفغاني و محمد عبده) على أن الأمة الإسلامية بدأت تدرك أنها دخلت مرحلة دقيقة من تاريخها بسبب الغزو الأوروبي...، و كان سقوط الجزائر هو النذير الأول ثم تتابعت النذر بسقوط تونس وليبيا...، لذلك استيقظ المسلمون من ركودهم الشامل وارتفعت صيحات الإصلاح في جوانب العالم الإسلامي..."[3]، ومنه فإن الأوضاع التي عاشها الوطن الإسلامي ككل جعلت المصلحين في البدء في مشروع الإصلاح.

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، المرجع نفسه، ص:21.
[2] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، وزارة الثقافة، ج5، د ط، الجزائر، 2007م، ص:93.
[3] محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح و التنوير، المرجع السابق، ص:82.

المبحث الثاني: مفهوم الإصلاح عند عبد الحميد ابن باديس.

1. تعريف الإصلاح:

في البداية علينا أن نعرج مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم ثم الإصلاح في معناه اللغوي وبعد الإصلاح في المعنى الاصطلاحي.

أ: الإصلاح في القرآن الكريم:

"يستمد الإصلاح في الثقافة الإسلامية مدلوله من اللفظ القرآني، لذا فالقرآن الكريم ساهم في المقام الأول في تعميم فكرة الإصلاح داخل الجماعة المسلمة، و عليه فمصطلح الإصلاح مصطلح إسلامي يضرب بجذوره في المنابع الأولى للإسلام ..."[1].

حيث ورد لفظ الإصلاح في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: **"قال يا قوم أراءيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت و إليه أنيب"**[2]؛ و "نستنتج من الآية من حيث المضمون: بذل الجهد إلى أقصى ما يسمح به المستطاع لإزالة ما يفسد واقع الناس في نفوسهم و مجتمعهم، و أنه من حيث الشروط يستلزم من جهة عدم السعي

[1] فريد حاجي، الإصلاح و آليته عند ابن العنابي و خير الدين التونسي خلال القرن19م، دار الكرم، د ط، الجزائر، 2013م، ص:107.
[2] القرآن الكريم، سورة هود، الآية88.

للمصالح الشخصية...، و يفرض أساسا على دعاته أن يكونوا من أول الملتزمين ببرامجه و مشاريعه، و أن لا يخافوا الناس لما ينهونهم عنه"[1].

ب: الإصلاح في معناه اللغوي:

يعرفه المنجد الأبجدي على أنه: "مشتق من الفعل صلح، صلاحا و صلوحا و صلاحية، ضد فسد، زال عنه الفساد، يقال: و صلحت حال فلان؛ أي زال عنه الفساد، صلح، تصليحا، صلحة، أعاده إلى حالة حسنة "[2]؛ يتضح لنا أن الإصلاح في مدلوله اللغوي من مصدر الفعل الثلاثي صلح و هو ضد الفساد.

ج: الإصلاح في معناه الاصطلاحي:

يشير مفهوم الإصلاح في المعنى الاصطلاحي إلى "إزالة الفساد و تقويم الانحرافات و الاختلالات داخل المجتمع و الانتقال من وضع إلى وضع أفضل و دائم، بما يسمح بتحقيق التنمية و تجاوز المعضلات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية"[3]؛ يتضح من هذا التعريف أنه بواسطة الإصلاح يشهد المجتمع تغير من حال سيء إلى حال جيد في مختلف مجالات الحياة.

و بما أن ابن باديس متأثر بابن تيمية كما سبق ذكره، فإننا نجد ابن تيمية يعرف الإصلاح بقوله : "إن الإصلاح هو صلاح العباد في طاعة الله و رسوله، و لا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و به صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس"[4]؛ و المقصود هنا أن الإصلاح مرتبط بأوامر الله عز و جل و أوامر النهي عن بعض الأمور التي تكون نتائجها سلبية و تجلب بذلك الأضرار و المفاسد و الانحلال للمجتمع.

كما يعرف ابن باديس الإصلاح بأنه "إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإحداث اختلال فيه"[5]؛ و يقصد ابن باديس بمفهومه هذا أن الإصلاح هو إعادة الشيء إلى صورته الأولى التي جاء بها.

يقول ابن باديس: "...ليس ما ندعو إليه و نسير على مبادئه من الإصلاح بأمر يخص المسلم الجزائري و لا ينتفع به سواه ، كلا فإن صحة العقيدة، و استنارة الفكر، وطهارة النفس، و كمال الخلق، و استقامة العمل، و هذا هو الإصلاح كله، مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بنى الإنسان..."[6]؛ و هذا يدل على أن الإصلاح الذي يحث عليه ابن

---

[1] محمد بريش، مفهوم الإصلاح أو نحو إصلاح لفهم المصطلح، مركز الحضارة للدراسات الإسلامية، القاهرة، ديسمبر 2006م، ص:9.

[2] المنجد الأبجدي، معاجم دار المشرق، الطبعة الخامسة، بيروت، لبنان، 1987م، ص:633.

[3] محمد سبيلا، نوح الهرموزي، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية و الفلسفة، منشورات المتوسط، ط1، الرباط، المغرب، 2017م، ص:44.

[4] عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، مجلة ديالي، ع:الثامن والعشرون، 2008م، د ص.

[5] عبد الحميد بن محمد ابن باديس الصنهاجي، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المصدر السابق، ص:73.

[6] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، المصدر السابق، ص:21.

باديس لا يقتصر على الشعب الجزائري فقط، فهو لا يخصص الإصلاح لأمته دون سواها بل أن مشروع الإصلاح عنده يستفيد منه كل فرد سواء كان ذو جنسية جزائرية أو غير ذلك.

من هنا يكون إصلاح ابن باديس إصلاح متشعب يمس كل الجوانب التي طرأ عليها الفساد، بما في ذلك: العقيدة و الفكر و النفس و الخلق و التربية و التعليم... و غيرها.

2. أهداف الإصلاح:

يمكن إجمال أهداف الإصلاح بصفة عامة في النقاط الآتية:

- ❖ التربية السليمة و القويمة بفعل تصحيح العقائد و تقويم الأخلاق.
- ❖ تأهيل الإنسان الجزائري و تنمية قدراته العقلية و الاجتماعية و الأخلاقية.
- ❖ العمل على نشر العلم و المعرفة و تثقيف الناس و إيقاظ وعيهم، و تحريرهم من أشكال الضعف والوهن و اليأس، و إعادة زرع الأمل في نفوسهم.
- ❖ إعادة بعث اللغة العربية التي أوشكت على فقدان مقومات صيانتها و تعليمها و ترقيتها و السعي إلى جعلها وسيلة لبناء الشخصية الوطنية[1].

و بالتالي يكون الإصلاح من منظور ابن باديس "يبدأ من تطهير القلوب و تغيير النفوس بالتقوى مما يؤدي إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية، و عامل التغيير الداخلي هو التربية..."[2]؛ أي أن ابن باديس في عملية الإصلاح ينطلق من إصلاح القلب و تنقيته و منه تطهير النفس و العودة بها إلى القيم و الفضائل الدينية، و منه إذا كان القلب نقي و صافي و صالح و النفس كذلك فإن ذلك يعم على سائر المؤسسات الأخرى، و العامل الفعال هنا هو التربية، هذه الأخيرة كونها وسيلة لإصلاح الفرد و من ثمة إصلاح المجتمع، و بالتالي يصلح الكل.

3. ميادين الإصلاح:

نجد أن العلامة ابن باديس ركز في مشروعه الإصلاحي على ثلاثة ميادين و هي التي عمل المستعمر الفرنسي على إفسادها و تلاشيها و هي كالآتي:

أولا: إصلاح عقلية الجزائريين.

حيث "أن إصلاح العقول كما نعلم هو المقدمة الطبيعية لكل إصلاح ناجح في المجتمع، و لعل هذا ما يوضح لنا اهتمام الشيخ عبد الحميد بن باديس البالغ بأمور التربية و التعليم، من أجل تكوين أجيال قائدة في الجزائر تعمل على بعث نهضة شاملة في البلاد تخرج بها من حالة الجمود و الركود إلى حالة الحيوية و النشاط..."[3].

من هنا نلاحظ أن للعقل دور في عملية الإصلاح، إذ أن المستعمر أثر بسياساته المختلفة على عقلية المواطنين الجزائريين، و هذه السياسات خلفت رواسب في ذهن الفرد و أصبح

---

[1] رشيد درغال، دور النخب في تجديد المشروع النهضوي التنموي من خلال الفكر الباديسي، مجلة عصور جديدة، ع:10، جويلية1434ه، 2013م، ص:269.

[2] أسعيد عليوان، فلسفة ابن باديس في الإصلاح المفهوم المجالات و الوسائل، مجلة المعيار، ع:42، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، كلية أصول الدين، قسنطينة، جوان2017م، ص:330.

[3] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص:89.

يعيش حالة من الجمود الفكري تعيق عليه المحاولة في التقدم و النهوض بوطنه، "لذلك يجب على الجزائريين أن يصلحوا عقولهم عن طريق التربية و التعليم لكي يستطيعوا تحرير وطنهم من الاستعمار الفرنسي، بالإضافة إلى الحرص و التمسك بمقومات شخصيتهم العربية الإسلامية"[1].

من هنا يتضح أن ابن باديس جعل إصلاح العقول مرتبط بعملية التربية و التعليم، لأن الفرد إذا كان متعلما و متلقي تربية صحيحة، فإن فكره و عقله يكون مزود بثقافة متينة، يستطيع بواسطتها تحقيق أماله.

ثانيا: إصلاح عقيدة الجزائريين:

و "كان من أهداف نشاط عبد الحميد بن باديس التربوي و الإصلاحي تطهير عقيدة الجزائريين من البدع و كل مظاهر الشرك بالله سبحانه و تعالى...، و يرى أن الذين تسببوا في جمود الفكر الإسلامي و أكثروا من البدع في الدين هم رجال الطرق الصوفية أو بعضهم على الأقل..."[2].

و الملاحظ هنا أن من نتائج انتشار الطرق الصوفية و انحراف بعض شيوخها عن هدفها المنشود، أن انتشرت الخرافة و البدع و الابتعاد عن الدين الإسلامي و ما ينص عليه من قيم و تفشي مظاهر الانحلال الخلقي، كل هذه المظاهر أدت بالضرورة إلى انتشار الفساد و التغيير على مستوى العقيدة الإسلامية، و من هنا حاول ابن باديس نبذ و محاربة كل هذه المظاهر التي تسبب فيها معظم شيوخ الطرق الصوفية.

من هنا فإن عبد الحميد بن باديس عمل جاهدا على "تطهير عقيدة الجزائريين من تلك الأوضاع الطرقية المنافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة التي روجوها بين العامة على أنها من الدين و الدين برئ منها، حتى يعود الدين الإسلامي في العصر الحديث كما كان في القرون الإسلامية الأولى طاهرا نقيا من تلك البدع و الخرافات، و بذلك يصبح قوة دافعة لنهضة الجزائريين بدلا من أن يكون عاملا عائقا لهم عن التطور و التقدم"[3].

و هكذا يتضح أن الدين الإسلامي يعتبر دافعا للشعب الجزائري نحو الأمام للتخلص من مظاهر التخلف إلى مظاهر التقدم و الرقي.

ثالثا: إصلاح أخلاق الجزائريين:

إن فساد العقول وكذا انحلال العقيدة الإسلامية أدى إلى تدهور وتراجع أخلاق الشعب الجزائري، في ظل هذا الفساد الذي عم أرجاء الوطن أخذ ابن باديس يصلح أخلاق أفراد المجتمع الجزائري، "باعتبار أن الأمم أخلاق فإذا صلحت أخلاقهم صلحوا، و إذا فسدت

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص:91.
[3] المرجع نفسه، ص ص:91-92.

أخلاقهم فسدوا "[1]؛ بمعنى أن الأخلاق عامل مهم في تقدم الأمة أو تخلفها و من ثمة صلاحها أو فسادها.

إضافة إلى ذلك فإن "الشيخ عبد الحميد بن باديس يذهب إلى أن الأخلاق تنبع من داخل الفرد، و بالتالي يجب تطهير القلوب، و تهذيب النفوس، و إصلاح العقائد، حتى يعمل الفرد على تغيير ما بنفسه لكي يغير الله ما به من سوء و انحطاط..."[2]؛ و هذا يعني أن الفرد إذا كان صالحا من الداخل أعني: قلبه و نفسه و جوارحه...، فإن أخلاقه تكون صالحة و على قيم و تصرفات محمودة، و في هذا الصدد يقول ابن باديس: "فصلاح النفس هو صلاح الفرد، و صلاح الفرد هو صلاح المجموع، و العناية الشرعية متوجهة كلها إلى إصلاح النفوس "[3] .

نستشف من قول ابن باديس أن إصلاح المجتمع متوقف على إصلاح الفرد، و هذا الأخير لكي يستقيم ويصلح يجب أن تطهر نفسه و يحرر عقله من كل الأفكار التي سيطرت عليه، لهذا كان الدين الإسلامي يدعوا إلى تطهير و إصلاح النفس لكي يكون الفرد على استقامة و ثبات، و بصلاح الفرد يصلح المجتمع و تستقيم أخلاقه.

المبحث الثالث: المنهج الإصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس.

في ظل إصلاح الميادين السابقة الذكر(العقل،العقيدة،الأخلاق) نجد أن ابن باديس اتبع منهجا يستند إليه في نشاطه الإصلاحي، "إلا أنه عندما بدأ عمله الإصلاحي التربوي في الجزائر كانت أمامه الكثير من التحديات نذكر منها على سبيل المثال:

- ❖ 15 ألف جندي فرنسي ينتظر مجرد الإشارة من إدارته ليفتك بالجزائريين.
- ❖ 120 ألف مهاجر جزائري و800 عائلة مشردة هاربة من القهر و الظلم.
- ❖ 50 ألف جزائري يمنحون الجنسية الفرنسية.

[1] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص:93.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح و التنوير، المرجع السابق، ص:98.

و لقد كانت هناك قناعة لابن باديس بأنه لا سبيل لمعالجة هذا الواقع و إصلاحه إلا بوضع منهج تربوي قوي يكون في مستوى التحديات و التطلعات"[1].

حيث "تمثل المنهج التربوي الإصلاحي في فكر ابن باديس بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عام 1931م، و كانت جمعية دينية تسعى إلى العمل من أجل تنقية الدين من الشوائب و البدع و نشر اللغة العربية، و إنشاء المدارس و النوادي"[2]، و هكذا فإن العلامة ابن باديس ركز في عمله التربوي الإصلاحي على جمعية العلماء المسلمين التي أسسها رفقة زملائه في الميدان الإصلاحي كمنهج يسير وفقه، و سوف نتطرق لهذه الجمعية باعتبارها المنهج الذي سار وفقه في عمله الإصلاحي و هي كالآتي:

أولا: نشأة الجمعية:

أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "رسميا في الخامس من شهر مايو سنة1931م، و قد اتخذت مقرا لها في بداية تكوينها نادي الترقي الذي أسس بالعاصمة في عام1926م...، و تولى رئاستها منذ البداية الشيخ عبد الحميد بن باديس...، و تولى نيابة الرئاسة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الذي استمر يشغل هذا المنصب إلى أن توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس..."[3]، و جاءت جمعية العلماء المسلمين "كرد فعل لسياسة التنصير و الفرنسة التي أرادت فرنسا فرضها على الجزائر..."[4]، و كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين جملة من المبادئ الأساسية يمكن حصرها في الشعار الآتي: **"الإسلام ديننا و العربية لغتنا و الجزائر وطننا"**[5].

و منه يتضح أن نشأت جمعية العلماء المسلمين لم تكن من فراغ بل أنها كانت ضرورة لازمة للوضع الذي فيه الجزائر و السياسة الفرنسية التي طغت على أرجائه، التي من شأنها تدمير الشعب و نشر الأمية و انحلال أخلاق أفراده، لكي تتمكن من التحكم فيه و من ثمة السيطرة على الأمة الجزائرية دينا و لغة و وطنا.

و هناك العديد من العوامل التي دفعت برجال الإصلاح إلى تأسيس هذه الجمعية، و قد أشار إلى بعض تلك العوامل الشيخ الإبراهيمي و التي تمثلت في:

أولها: آثار دعوة الإمام محمد عبده التي تأثر بها المصلحون الجزائريون، و كذا مؤلفات تلميذه رشيد رضا التي كان لها الأثر القوي في إذكاء الحركة الإصلاحية في الجزائر---

[1] لخضر بن العربي عواريب، نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي الباديسي، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع:أول، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر2010م، ص:230.

[2] بدر حامد العازمي و آخرون، تطبيقات التربية الإصلاحية في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة جامعة السلام، ع: السابع، ديسمبر2018م، ص:27.

[3] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:91.

[4] المرجع نفسه، ص:93.

[5] المرجع نفسه، ص:92.

ثانيها: الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد ابن باديس بدروسه حيث كون عقولهم و شحذ عزائمهم و ربى نفوسهم على وجه تتشوق به إلى كل دعوة تغيير في المستقبل بقائد الدين و شعار الإصلاح.

ثالثها: التطور الفكري الذي طرأ على عقول الناس ---

رابعها: رجوع طائفة من المثقفين الجزائريين الذين كانوا يعيشون في المشرق العربي و لا سيما في الحجاز و الشام و الذين من أبرزهم الإبراهيمي و العقبي[1].

و كانت هذه أبرز الدوافع و العوامل التي نشأت من خلالها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

ثانيا: التعريف بجمعية العلماء المسلمين:

تعتبر جمعية العلماء المسلمين "حركة فكرية و ثقافية تنفض غبار الجهل و الأمية عن الشعب الجزائري، حيث أسست المدارس الشعبية للتعليم و المساجد لأداء الشعائر الدينية و النوادي الثقافية..."[2]، و بالتالي فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعد "أداة من أدوات الخير و الصلاح، و عامل لا يستهان به من عوامل التربية الصالحة و التهذيب النافع و عون صالح لأولي الأمر على ما يعملون له من هناء و راحة..."[3].

و اعتمدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في "أسسها على أن العلم الصحيح و الخلق المتين هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان، و أن الإصلاح ذو شقين مترابطين التعليم من ناحية و نبذ الجمود و الأوضاع الطرقية و الاستعمارية كنتيجة للعلم و التعليم من ناحية ثانية..."[4].

ثالثا: مطالب الجمعية:

و قد كان لجمعية العلماء المسلمين جملة من المطالب يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- ❖ إلغاء القوانين الاستثنائية.
- ❖ فصل الدين الإسلامي عن الإدارة الفرنسية.
- ❖ إرجاع الأوقاف إلى جماعة المسلمين.

---

[1] نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين و الطرق الصوفية و تاريخ العلاقة بينهما، دار الأنوار، ط2، الجزائر، 2016م، ص ص:26-27.

[2] عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر"1954م، 1956م"، المرجع السابق، د ص.

[3] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، تلمسان، 1997م، ص:199.

[4] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر"محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، المرجع السابق، ص:440.

❖ ضرورة تعليم اللغة و ضمان حرية الرأي[1].

أهداف الجمعية:

لقد لخصت جريدة لسان العرب أهداف الجمعية سنة 1947م في نقطتين هما:

❖ إحياء ما اندثر من تعاليم الإسلام.
❖ إحياء ما مات من مظاهر اللغة العربية[2].

و الجدير بالملاحظة هنا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كان من أهم ما تسعى إليه هو إعادة الدين إلى صورته الأولى النقية التي شوهها المستعمر الفرنسي و كذا إصلاح لغة الشعب الجزائري اللغة العربية التي حاولت فرنسا محوها، و هذا ما يؤكده **البشير الإبراهيمي** حيث "حدد أهداف الجمعية في إحياء مجد الدين الإسلامي و إحياء مجد اللغة العربية، فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فيتمثل في إقامته كما أمر الله...، و أما إحياء مجد اللغة العربية فلكونها لسان محمد "ص" و لسان تاريخ الدين الإسلامي و لسان الأمة..."[3].

و منه "حدد ابن باديس الهدف من إنشائه لجمعية العلماء المسلمين في محاربة الخرافات و الشعوذة التي عمت البلاد نتيجة لأعمال الطرقيين"[4]؛ بمعنى أن ابن باديس جعل أهم ما تعمل عليه الجمعية هو القضاء على كل أشكال الخرافة و الشعوذة و البدع و الضلالات التي ألحقها بعض رجال الطرق بالدين الإسلامي الذين انزاحوا عن مهمتهم تحت ضغط المستعمر، و بمعنى آخر فإن أغلب أهداف الجمعية تسعى إلى تطهير الدين الإسلامي مما علق به من صور البدعة و الخرافة و إلى إصلاح اللغة العربية التي حاولت فرنسا إماتتها لنشر لغتها الفرنسية.

إضافة إلى ذلك فإن "غاية جمعية العلماء المسلمين هي تعليم الناس أمر دينهم و تفقيههم فيه و تهذيبهم به و إصلاح ما فسد من شؤونهم العامة و الخاصة إصلاحا إسلاميا مستمدا من الكتاب و السنّة و هدي صالح سلف الأمة بلسان هذا الدين الكريم، اللسان العربي المبين..."[5]؛ بمعنى أن جمعية العلماء كانت تعتمد لتحقيق أهدافها على الدين الإسلامي و كتب السنّة و السلف الصالح.

و منه يمكن إجمال أهداف الجمعية في النقاط الآتية:

❖ تطهير الإسلام من البدع و الخرافات و محاولة إيقاظ شعلة للحماسة في القلوب، تلك الشعلة التي بذل الاحتلال جل جهوده من أجل إطفائها حتى تناهز مقاومة الجزائريين.
❖ إحياء الثقافة العربية و نشرها بالبلاد خاصة.

---

[1] شبوب محمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في إعادة بعث الهوية الوطنية "1931م، 1939م"، المرجع السابق، ص:171.
[2] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى1931م،1945م، المرجع السابق، ص:109.
[3] المرجع نفسه، ص:111.
[4] المرجع نفسه، ص:110.
[5] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ج5، 2005م، ص:161.

- التستر وراء الثوب الديني الذي ارتدته جمعية العلماء في محاربة سياسة الفرنسة و التنصير و التجنيس.
- العمل من أجل الحصول على استقلال الجزائر و ضمها إلى الأسرة العربية الكبرى...[1].

و هذه أبرز المرامي التي تسعى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتحقيها.

إضافة إلى تأسيس العلامة ابن باديس جمعية العلماء المسلمين كمنهج إصلاحي تربوي نجده قام ب:

تأسيس المدارس: فالمدارس للناشئة تتلقى فيها دروس الدين و الأخلاق و قواعد اللغة العربية.

النوادي: حيث الأندية للشباب تجمع شتاته و تقيه شر الضياع، ترجع له ثقته بنفسه و بدينه و قومه بما يسمعه من المحاضرات الثقافية في التربية و التوجيه القومي و الوطني.

بناء المساجد الحرة: حيث أن المساجد لجمهور المصلين المتعطشين لسماع دروس اليقظة و الحياة المستوحاة من روح الإسلام النقي من الخرافة و الجمود و التعصب...[2]؛ بمعنى أن المصلح الجزائري ابن باديس إلى جانب قيادته لجمعية العلماء فإنه أخذ يؤسس المؤسسات التي من شأنها تساعده في عمله الإصلاحي و لها دور كبير فيه.

و بالتالي أخذ الشيخ ابن باديس "ينشر دعوته في الإصلاح و التغيير عن طريق المدارس و النوادي و دروس الحضارة الإسلامية و تفسير القرآن الكريم الشريف التي أخذ يلقيها على طلابه و مريديه في الجامع الكبير و في الجامع الأكبر في قسنطينة..."[3]؛ هذا يدل على أن ابن باديس اتخذ من المدارس و النوادي و المساجد مكانا لعمله الإصلاحي ينشر فيه دروسه و تفسيراته للقرآن الكريم بين طلابه و تلاميذه.

و من هنا نجد أن منهج ابن باديس "منهجا تربويا قائما على الالتزام بالجمع بين السير على النهج الذي سار عليه أئمة السلف في تعاملهم مع حقائق الإسلام، و بين العمل بما تقتضيه الظروف المتميزة، التي يعيشها الشعب الجزائري مستهدفا التغيير الايجابي الذي يسير في الاتجاه الذي يخدم قضايا المجتمع و يناهض الوضع الاستعماري، و يهيئ الأجيال لمواجهة الصراع السياسي"[4].

[1] نبيل أحمد البلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، المرجع السابق، ص:64.
[2] محمد الصالح رمضان، الإمام الشيخ ابن باديس من آرائه و مواقفه، المرجع السابق، ص ص:36-37.
[3] فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و النهضة في تاريخ الجزائر الحديث، د ط، د ب ن، د س، ص:7.
[4] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:156.

و منه فإن ابن باديس زاوج في منهجه بين الماضي و الحاضر لبناء المستقبل، فهو اعتمد في منهجه على الرجوع إلى الدين الإسلامي و الواقع المعاش الذي يعانيه المجتمع، و هذا المنهج كان يستهدف إحداث تغيير كلي نحو مستقبل الأمة.

كذلك فإن ابن باديس "جعل من مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم منطلقات منهجه...، و أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما مرجع الفضائل الإسلامية و منبعها، و قامت بإحياء هدي سلفنا الصالح في وقت طمت فيه البدع و الأهواء على ذلك الهدي حتى خيف عليه الاندثار"[1]، و هذا مبدأ الإصلاح الباديسي.

إضافة إلى هذا المبدأ اتخذ ابن باديس من "التربية و التعليم وسيلته الأساسية لتوعية أبناء وطنه، و في نفس الوقت سلاحه الفتاك لمواجهة المستعمر المتسلط على بلده..."[2]، بهذا يتضح أن العلامة ابن باديس اعتبر كل من التربية و التعليم الأداة التي بواسطتها يقضي على مختلف مظاهر التخلف و الجهل و الانحطاط التي نشرها المحتل بين الأهالي، و في عمله هذا اتبع ابن باديس منهج التربية الإسلامية و كان أبرز معالمه:

بيان أهمية العلم و دوره في حياة الإنسان: "العلم هو الإمام المتبع في الحياة في الأقوال و الأفعال و الاعتقادات، فسلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا، يستقيم باستقامه و يعوج باعوجاجه، لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته...، و اعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره و نظره..."[3]؛ و هكذا يتضح أن سلوك الفرد ما هو إلا ترجمة لتفكيره فكلما كان تفكيره سليم و واع كان سلوكه متحضر و سليم و العكس صحيح، و بالتالي فإن العلم مرتبط بالحياة.

و في هذا الصدد يقول ابن باديس: "لا حياة إلا بالعلم و إنما العلم بالتعلم، فلن يكون عالما إلا من كان متعلما، كما لن يصلح معلما إلا من كان متعلما"[4].

و منه فإن العلم احتل حيزا كبيرا عند الإمام ابن باديس و بالتالي وجب علينا طلب العلم و بذل الجهد في عملية تحصيله و اكتسابه، و من ثمة تعليمه للأجيال الآتية لأن الله سبحانه و تعالى أمرنا بالتعلم و القراءة، و بهذا السبيل فإن الجهل و الأمية التي سادت مع فترة الاحتلال نجدها تتقلص شيئا فشيئا، حيث يتمحور هدف ابن باديس من العلم في "بناء الشخصية الإسلامية المتكاملة فهو ذو أبعاد نفسية و عقلية و اجتماعية، لذلك نجده يقول رحمه الله: "إن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية و الاجتماعية"[5].

---

[1] عشيراتي سليمان، ابن باديس التحول من برزخية القول إلى حضور الفعل، ملامسة لفقه سياسة الإصلاح و إصلاح السياسة، دار الغرب، ج2، د ط، د ب ن، د س، ص:242.

[2] لخضر بن العربي عواريب، نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي الباديسي، المرجع السابق، ص:229.

[3] مسعود جباري، الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:40.

[4] مسعود جباري، الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ص:41.

[5] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:467.

بيان دور العلماء: يعتبر"العلماء هم عمود الأمة الأساسي، فإذا قاموا بدورهم سعدت الأمة و سارت في منازل الرقي و التطور، و إن هم قصروا في واجبهم كان الشقاء و الضنك لهذه الأمة...، فإن دور العلماء في الأمة مرتبط بأداء مهمتين جوهريتين:الأولى خدمة الإسلام: و هذا بنشر تعاليمه و إبراز قيمه و تطبيق أحكامه، و الثانية خدمة اللغة العربية: و هذا بترقيتها و الاعتناء بها على كافة المستويات، و في كل مجالات الحياة كوعاء لهذا الدين خاصة بعد محاولات الاحتلال الفرنسي العديدة لتذويب الإسلام في عقول و قلوب الشعب الجزائري"[1].

و في هذا يقول ابن باديس: "إنني أعاهدكم على أن أقضي بياضي على العربية كما قضيت سوادي عليهما...، و إنني سأقصر حياتي على الإسلام و القرآن و لغة الإسلام و القرآن و هذا عهدي لكم"[2]؛ و يتبين لنا من قول ابن باديس هذا أنه وقف شبابه كله في سبيل المحافظة على اللغة العربية و الإسلام و هو الأمر نفسه الذي عاهد أن يقف عليه بقية حياته.

و يقول أيضا أننا "إذا راجعنا تاريخ المسلمين في سعادتهم و شقائهم و ارتفاعهم و انحطاطهم، وجدنا ذلك يرتبط ارتباطا متينا بقيام العلماء بواجبهم أو قعودهم عما فرضه الله و أخذه به الميثاق عليهم..."[3].

مبادئ المنهج التربوي الباديسي:

إن لكل منهج مبادئ يقوم عليها و الأمر نفسه بالنسبة إلى المنهج التربوي لابن باديس، بحيث عند العودة إلى ما تركه ابن باديس رحمه الله و ما كتب عنه تلاميذه و بعض المختصين في التربية و التعليم، نجد أن هذا المنهج التربوي الباديسي يتكون من المبادئ التربوية الآتية:

1. **أساس الإصلاح إصلاح التعليم:** يرى ابن باديس أن أية عملية إصلاح في المجتمع لا بد أن تقوم على إصلاح التعليم أولا، و أن أي إهمال لهذا الجانب سوف يؤدي إلى فشل العملية الإصلاحية[4].

بمعنى أن أول خطوة في الإصلاح تكون متجهة أساسا إلى التعليم، لأن بالتعليم نقضي على الجهل و يصلح حالنا، و أن الأمة تزدهر و يصلح وضعها بتعليم أبناؤها و تنوير عقولهم و تطوير فكرهم، لذلك نجد ابن باديس في بداية الأمر عمل على إصلاح عملية التعليم، من خلال العودة به إلى منابعه الأولى و هي الإسلام.

2. **العلم قبل العمل:** يعطي ابن باديس أهمية بالغة للجانب العلمي التعلمي، و يرى بأن أي عمل لا يقوم على علم فهو غير مأمون النتائج، بل قد يشكل خطرا على صاحبه و على

[1] مسعود جباري، الفكر السياسي عند عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص ص:41-42.
[2] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج5، المصدر السابق، ص ص:214-215.
[3] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج1، مج12، محرم 1355ه، أبريل 1936م، ص:4.
[4] شيماء علي جمال الدين، الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الإصلاحية بالجزائر، المرجع السابق، ص:27.

من يحيط به، و على اعتبار أن تحصيل العلم لا يتأتى إلا بالعلم فقد بذل رحمه الله جهدا في تعليم جميع فئات المجتمع الجزائري[1].

و هذا يشير إلى أن ابن باديس جعل من التعليم أولى من العمل، و ذلك على أساس أن العمل بلا علم لا يقدم لنا فائدة، لهذا نادا بضرورة تعليم جميع أفراد الوطن الجزائري من ذكور و إناث و رجال و نساء.

حيث يقول ابن باديس في ذات السياق: "العلم قبل العمل و من دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال و لا على عبادته من مداخل الفساد و الاختلال..."[2].

3. **القدوة الحسنة:** يرى ابن باديس بأن نجاح العملية التعليمية مرتبط بالقدوة الحسنة على مستوى الفرد و على مستوى الجماعة و الأمة، فالفرد لا يستطيع أن يحقق أهدافه التعليمية و التربوية إلا إذا كان يمثل القدوة الحسنة الصالحة، و كذا الأمة لن تكون قدوة لغيرها إذا أهملت أمر نفسها[3].

و مثال ذلك أن العلماء الذين يتكلم عنهم ابن باديس يجب أن يكونوا قدوة لتلاميذهم يأخذون منهم أحسن الصفات و أنبل الأفعال.

و في ذات الصدد يقول ابن باديس: "لا يستطيع أن ينفع الناس من أهمل أمر نفسه، فعناية المرء بنفسه عملا و روحا و بدنا لازمة له ليكون ذا أثر في الناس..."[4]؛ يدل قول ابن باديس على أن الإنسان الذي لا يمكنه تحقيق فائدة و منفعة لنفسه فإنه لا يستطيع تحقيق ذلك لغيره.

4. **الاهتمام بتعليم اللغة العربية:** "نظرا للعلاقة القوية القائمة بين اللغة و الدين فإن ابن باديس أولى اهتماما كبيرا لتعليم اللغة العربية و هو يرى بأن خدمة اللغة العربية خدمة للإسلام في نهاية الأمر، و أنه لا يمكن الفصل بينهما بأية حال من الأحوال "[5]؛ في هذا المجال ربط ابن باديس اللغة العربية بالدين الإسلامي، كون هذا الأخير جاء باللغة العربية الفصحى، و بالتالي لا يمكن فصل اللغة العربية عن الإسلام فاللغة العربية هي لغة الإسلام و لغة الدين.

---

[1] شيماء علي جمال الدين، الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الإصلاحية بالجزائر، المرجع نفسه، ص:28.

[2] لخضر بن العربي عواريب، نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي، المرجع السابق، ص:231.

[3] شيماء علي جمال الدين، الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الإصلاحية بالجزائر، المرجع السابق، ص:28.

[4] لخضر بن العربي عواريب، نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي، المرجع السابق، ص:231.

[5] شيماء علي جمال الدين، الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الإصلاحية بالجزائر، المرجع السابق، ص:28.

في هذا الفصل استعرضنا فكرة الإصلاح عند المصلحين السابقين عن العلامة الشيخ ابن باديس ك: بن تيمية و محمد بن عبد الوهاب و كذا جمال الدين الأفغاني و تلميذه محمد عبده وصولا إلى ابن باديس، و الملاحظ على فكرهم أنهم أجمعوا على أن الإصلاح يكون أولا بإصلاح الدين، لأن الدين هو العاصم لكل الأخطاء و المفاسد و لا صلاح إلا بإصلاح الدين الإسلامي، و من هذه النظرة المجملة للإصلاح تطرقنا إلى مفهومه و مجالاته و المنهج الذي اعتمده في الإصلاح تأسيسه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، و كذا تأسيس المدارس و النوادي و المساجد، حيث اعتمد في إصلاحه على التربية و التعليم كوسيلة، لهذا قسم نشاطه إلى قسمين أحدهما نظري و الآخر تطبيقي و هذا ما سنعالجه في الفصل الموالي.

الفصل الثالث:

الإصلاح التربوي "المضامين والأهداف".

تمهيد الفصل.

المبحث الأول: الإصلاح التربوي على المستوى النظري.

المبحث الثاني: الإصلاح التربوي على المستوى التطبيقي.

المبحث الثالث: أهداف الإصلاح التربوي.

خلاصة الفصل.

عند إقامة العلامة ابن باديس للمشروع التربوي الإصلاحي كان مستندا على خلفية تاريخية تمثلت في أوضاع الجزائر المتدهورة في الميادين المختلفة ك : الدين الإسلامي، الثقافة، الاقتصاد، التعليم...إلخ، هذا العمل يهدف من ورائه إلى إصلاح الأوضاع السابقة الذكر و إخراج الشعب مما يعانيه، متخذا التربية و التعليم كأداة و وسيلة فعالة لتحقيق هدفه المنشود.

لذلك فإن المشروع التربوي الإصلاحي لابن باديس يقوم على شقين:

أحدهما نظري: يعالج فيه إصلاحه للدين الإسلامي و اللغة العربية و الوطن الجزائري، على اعتبار أن هذه هي مقومات الشعب التي حاولت فرنسا محوها.

و الآخر تطبيقي: يعالج فيه تطبيق أفكاره الإصلاحية على الواقع و ذلك تجسد في التربية و التعليم.

و من ثمة التطرق إلى المراد من الإصلاح التربوي عند مصلحنا ابن باديس، و هذا ما سوف ندرسه بالتحليل في هذا الفصل.

المبحث الأول: الإصلاح التربوي على المستوى النظري.

أولا: الدين الإسلامي:

إن الفترة التي برز فيها ابن باديس كان الدين الإسلامي منحطا و طغت عليه الخرافات في كل النواحي، بسبب ما تنشره فئات الطرقية التي انحرفت عن مسارها و غايتها الحقيقية، و لما كان الشعب الجزائري شعبا مسلما متدينا متمسكا بدينه فإن فرنسا فرضت العديد من السياسات لإضعافه و هذا ما تطرقنا إليه سابقا، و نظرا لتلك الظروف التي عاشتها الجزائر و الأوضاع التي حلت بالدين الإسلامي فإن مصلحنا ابن باديس بدأ بإصلاحه لأنه الأساس الأول الذي ينطلق منه كل إصلاح.

حيث أن الإسلام "هو الدين الذي ارتضاه الله لهداية البشر، و أرسله منذ بدء الرسالات حتى اكتملت صورته النهائية فيما جاء به محمد عليه الصلاة و السلام ، فهو بالتالي (الإسلام) دين جامع لكل ما يحتاج إليه البشر سواء أكانوا أفرادا أو جماعات ففيه أسباب الكمال للحياتين الدنيوية و الآخروية، فهو دين لتنوير العقول و تزكية النفوس و تصحيح العقائد و تقويم الأعمال"[1]؛ هذا يعني أن الدين الإسلامي دين متكامل الجوانب يشمل كل ما يخص الإنسان، فالدين هو الذي يوجه الفرد المسلم نحو الطريق المستقيم و أن الأخذ بنصوصه يجعل الإنسان قادرا على التمييز بين خير الأمور و شرها في حياته، و من ثمة يسمح الدين للإنسان بتطوير أفكاره و تنويرها و الخروج من الظلام إلى النور و من الخاطئ إلى الصحيح.

و يوضح ابن باديس ضرورة الدين الإسلامي بضرورة أن يكون الدين أساسا للإصلاح والتجديد الذي ينشده، فيقول: "... و قد أعطانا الله من هذا الدين الإسلامي من هذا الدين العقلي الروحي ما يكمل عقولنا و يهذب أرواحنا، أعطانا منه ما لم يعطه لغيرنا لنكون قادة و سادة..."[2].

يتضح من هذا القول أن ابن باديس ينادي بضرورة الأخذ بالدين الإسلامي في مجال الإصلاح، لأن الدين هو أساس الإصلاح حسبه، و أن كل عملية تجديد و تغيير لابد أن تعود إلى الإسلام و ما يحتويه، و هذا الإسلام هو إسلام في عقولنا و أرواحنا منحنا إياه الله سبحانه و تعالى.

"و في تأكيد ابن باديس على أهمية الدين كأساس أول لابد للإصلاح من الاستناد إليه إدراكا منه لقوة الشعور الديني في نفوس المعتقدين به، حيث أن الدين كما يقول الأستاذ الإمام محمد عبده "أول ما يمتزج بالقلوب و يرسخ في الأفئدة و تصطبغ النفوس بعقائده..."، فكأن الدين بالتالي أمر فطري داخل نفس الإنسان، و كأنما الإنسان في نشأته لوح صقيل و أول ما يخط فيه رسم الدين"[3].

و هنا نجد العلامة ابن باديس يوضح لنا أن الإصلاح يرتكز على الإسلام بالدرجة الأولى، كون الإسلام متواجد في نفوس البشرية جمعاء، و أن ابن باديس يدافع عن الدين و يحميه من كل ما يمسه و يشوهه، و منه فإن القرآن "هو الذي صلح عليه أول هذه الأمة و هو الذي لا يصلح آخره إلا عليه...، فإذا كانت الأمة شاعرة بسوء حالها جادة في إصلاحه فما عليها إلا أن تعود إلى كتاب ربها فتحكمه في نفسها و تحكم به و تسير على ضوئه و تعمل بمبادئه و أحكامه"[4].

هذا يبين أن الأمة التي تكون على وعي تام بوضعها و تعمل على إصلاحه فإنها تتخذ من القرآن مبدئها و تستند على أحكامه و نصوصه في مسارها.

---

[1] أحمد محمود الجزار، الإمام المجدد ابن باديس و التصوف، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 1999م، ص:56.
[2] المرجع نفسه، ص ص:56-57.
[3] أحمد محمود الجزار، الإمام المجدد ابن باديس و التصوف، المرجع نفسه، ص:57.
[4] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج4، ط1، بيروت، 1997م، ص:95.

و بالتالي يكون "القرآن إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة...، و بناء للحياة السعيدة التي لا يظلم فيها بشر و لا يهضم له حق على أساس من الحب و العدل و الإحسان..."[1].

من هنا يكون للإسلام قسم وراثي و قسم ذاتي و هما كالآتي:

أولا: الإسلام الوراثي: "الإسلام الوراثي هو الإسلام التقليدي الذي يأخذ بدون نظر و لا تفكير، و إنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء، و محبة أهله للإسلام إنما هي محبة عاطفية بحكم الشعور والوجدان...، لكن هذا الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبه أفكارها و تفتح أنظارها، و الإسلام الوراثي مبني على الجمود و التقليد فلا فكر فيه و لا نظر"[2].

يتضح من الإسلام الوراثي أن الفرد يعتمد فيه على ما هو موجود أو ما يعتقد به السالفين عنه، فهو إسلام يرثه الابن عن أبيه أو جده، هذا الإسلام لا يخضع إلى النظر و التفكير بل يأخذ كما هو، بالتالي فإن الإسلام الوراثي لا يساهم في تقدم و تطور الفرد و الأمم.

ثانيا: الإسلام الذاتي: "الإسلام الذاتي هو إسلام من يفهم قواعد الإسلام و يدرك محاسن الإسلام في عقائده و أخلاقه و آدابه و أحكامه و أعماله...، و يبني ذلك كله على الفكر و النظر فيفرق بين ما هو من الإسلام بحسنه و برهانه، و ما ليس منه بقبحه و بطلانه، فحياته حياة فكر و إيمان و عمل ومحبته للإسلام محبة عقلية قلبية بحكم العقل و البرهان كما هي بمقتضى الشعور و الوجدان"[3].

يتبين من هنا أن الإسلام الذاتي يبنى على التفكير في العقائد و الأعمال و الأخلاق و إصدار الأحكام يكون على أساس العقل الذي يعتبر الموجه نحو الصحيح و اليقين، و أن هذا الإسلام الوراثي موجود في ذاتنا في أنفسنا لكننا نتعامل معه بالعقل.

في هذا الصدد يقول ابن باديس أن الدين الإسلامي "قوة معنوية نلتجئ إليها في تهذيب أخلاقنا، و قتل روح الإغارة و الفساد منا و إماتة الجرائم من بيننا، بهذا لا نألوا جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية، و تطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون، و الدفاع عنه..."[4]؛ يشير قول بن باديس إلى أن الدين الإسلامي نعود إليه في أمور تخص حياتنا بصفة عامة و خاصة سواء في الأخلاق أو نبذ الفساد المنتشر بين الأفراد و هو قوام الحياة الإنسانية و النظام الذي ترتكز عليه.

ثانيا: اللغة العربية:

تكلم ابن باديس عن الدين الإسلامي أولا باعتباره أساس كل إصلاح و مبدأه، و أن أي عملية إصلاح فإنها تنطلق من إصلاح الدين، و بهذا نجده تحدث عن لغة الدين و هي اللغة العربية، على أساس أنها "لسان الفرد و الناطق الرسمي باسمه، باعتبار أن الفرد يعرف

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج3، مج14، ربيع الثاني 1357ه، جوان 1938م، ص:106.
[3] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج3، مج14، المصدر السابق، ص ص:106-107.
[4] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، المصدر السابق، ص:167.

بلغته، فاللغة ثابت من ثوابت الأمة بها تحافظ على وجودها و تضمن استمراريتها، فاللغة هي الوطن..."[1].

بهذا يتضح أن اللغة هي التي تعرّف الفرد و تميزه عن بقية أفراد الأمم المغايرة و هي من الثوابت التي لا تتغير إلا بتغير الأمة بأكملها و باللغة تضمن الأمم بقائها، و منه تعد اللغة بمثابة الوطن للفرد.

حيث "نقصد باللغة العربية لغة القرآن الكريم إذ لا يمكن الحفاظ على الدين إلا بالحفاظ على اللغة العربية و لا تستقيم الأحوال إلا بتعلمها و التمكن منها...، فاللغة العربية في نظر ابن باديس ليست حكرا على العرب و إنما كان من يتكلم العربية يعتبر عربيا حتى و إن لم ينحدر من سلالة العرب، باعتبار أن الدين الإسلامي لم يأت للعرب وحدهم..."[2].

يتبين من هنا أنه للحفاظ على الدين لابد من الحفاظ على لغته العربية و هما كل واحد، حيث أنها لم تكن للعرب لوحدهم بل كانت عامة لكل من يريد أن يتعلمها و يتكلم بها لأن القرآن الكريم لم يأتي للعرب وحدهم بل جاءت رسالته إلى كافة الناس.

و اللغة العربية هي "لغة الدين،لغة الجنس،لغة القومية،لغة الوطنية المفروسة، إنها الوحدة الرابطة بيننا و بين ماضينا، و هي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا...، و هي وحدها اللسان الذي نعتز به، و هي الترجمان عما في القلب من عقائد و ما في العقل من أفكار، وما في النفس من آلام و آمال..."[3]؛ هذا يوضح أن للدين لغته و هي اللغة العربية، و هي كذلك لغة الجنس و لغة القوم و لغة الوطن كله، فاللغة وحدها التي يمكن بواسطتها التعبير عن ماضينا و ربطه بحاضرنا و التخطيط لمستقبلنا.

في ذات الصدد يقول ابن باديس: "فالجنسية القومية هي مجموع تلك القوميات و تلك المميزات، و هذه القوميات و المميزات هي اللغة التي يعرب بها و يستأدب بآدابها و العقيدة التي يبني حياته على أساسها و الذكريات التاريخية التي يعيش عليها، و ينظر لمستقبله من خلالها و الشعور المشترك بينه و بين من يشاركه في هذه المقومات و المميزات"[4].

كذلك فإن "اللغة في الأساس مستودع قيم الأمة و الحافظة لكيانها و الرمز المعبر عن حقيقتها والوعاء الحامل لهويتها و تراثها، فهي عقل الأمة و روحها و وجدانها و أساس وحدتها و عماد تفكيرها و منطلق نهضتها، و اللغة هي الجسر الذي يصل أبناء الأمة بأسلافهم و بما تركوه من مجد و فكر و هو الذي يصلهم بأبنائهم و أحفادهم في المستقبل و يعزز الروابط بين أفراد الأمة الواحدة"[5]؛ بمعنى أن اللغة هي التي تحتوي على تراث

---

[1] حمدي لكحل، مشروع ابن باديس الإصلاحي بين المحافظة على القيم و التفتح على الآخر، مجلة دراسات إنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2015م، ص:93.

[2] المرجع نفسه، ص:94.

[3] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف، ج4، د ط، 2005م، ص ص:147-148.

[4] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب،ج12، مج12، ذو الحجة1355ه، فيفري1937م، ص:504.

[5] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص ص:84-85.

الأمة العربية من ثقافة و حضارة و آثار، و باللغة يستطيع الأفراد التطلع على أفكار الغير و التواصل فيما بينهم، فهي تعتبر همزة وصل بين الأجيال السالفة و القادمة.

ثالثا: الوطن الجزائري:

أما بالنسبة للوطن الجزائري فإن العلامة ابن باديس بذل كل طاقاته بغية تحريره من قبضة المحتل الفرنسي الذي استحوذ على أراضيه و ممتلكاته و أثر بسياساته على عقول المواطنين و دمر جل المؤسسات الوطنية، من هذه الصورة التي عليها الوطن الجزائري أخذ ابن باديس في إصلاحه ليرتقي إلى درجة الأوطان المتطورة، و كان حبه لوطنه كبير و هو يعتز به و يفتخر به كونه ينتمي إليه وجزء لا يتجزأ منه، حيث يقول في ذات السياق "حب الوطن من الإيمان كلمة تجري دائما على ألسنة المسلمين، لأن معناها صحيح ثابت في الإسلام...، و من الإيمان أن تحب من أحسن إليك...فهو بترابه و مائه و هوائه و نباته و حيوانه، أصل تكوينك و مادة غذائك و مسرح طفولتك وشبابك..."[1].

و يقول أيضا "... و ما جاء الإسلام في محبة الوطن إلا بما تقتضيه الفطرة و يقبله العقل ويعترف به حكماء الأمم..."[2].

يتضح من قولي ابن باديس أن حب الوطن حب فطري و شعور داخلي في الفرد، و من الواجب على كل مسلم أن يحب وطنه الإسلامي و أن يدعو له بالخير دائما، يفرح لفرحه و يحزن لحزنه، وهذه طبيعة في الإنسان حيث أنه يدافع عن وطنه الذي ولد فيه، أخذ منه الأخلاق الحسنة و استقى منه منابع تربيته الأولى، و هذا ما ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: **"و إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا و ارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله و اليوم الآخر قال و من كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار و بئس المصير"**[3].

إضافة إلى ذلك يقول ابن باديس "إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر و آمال المستقبل، و النسبة للوطن توجب علم تاريخه و القيام بواجباته، من نهضة علمية و اقتصادية و عمرانية، و المحافظة على شرف اسمه و سمعة بنيه فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه و لا سمعة لمن لا سمعة لقومه..."[4]؛ بمعنى أن من واجبات الفرد أن يحافظ على شرف وطنه، و أن يصونه و يعمل على حمايته من كل شيء يصيبه، و بالتالي فإن شرف الوطن يعتبر من شرف الفرد الذي ينتمي إليه.

حيث "أن الوطن في مفهوم ابن باديس أنواع، هناك الوطن الصغير الذي يرتبط به الإنسان في بداية حياته و هو البيت و الأسرة، و هناك الوطن الكبير الذي يعيش فيه مع من يماثلونه في ماضيه وحاضره و ما ينظر إليه من مستقبله و يماثلونه في اللسان و المشاعر و النوازع و التقاليد، و يشكل معهم أمة و شعبا و مجتمعا و هذا هو الوطن

[1] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج3، مج14، المصدر السابق، ص:108.
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 126.
[4] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج1، مج11، محرم1354ه، أبريل1935م ص:59.

الخاص الذي يتميز بإقليم جغرافي، و بوضع سياسي واجتماعي و ثقافي(مثل الجزائر)، و الوطن الأكبر الذي يلتقي فيه مع كل من فيهم صورته البشرية وحقيقته الإنسانية و يحس بأنهم أناس مثله(وطن الإنسانية)"[1].

بهذا يتضح أن ابن باديس أخذ يرتب الأوطان ترتيبا تصاعديا؛ أي من الأصغر إلى الأكبر حيث اعتبر أن الأسرة هي أول الأوطان بالنسبة للفرد و أصغرها، ثم تتسع دائرته إلى الوطن الكبير الذي تكون بين أفراده ذكريات من الماضي و الحاضر و المستقبل، ثم يأتي الوطن الأكبر الذي هو أوسع الأوطان و أكبرها و هو الوطن الإنساني الذي يضم كل هذه الأوطان.

من هنا جعل ابن باديس الناس أربعة أقسام[2]:

1. قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة و هؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيلات على دم غيرها من الحيوان...، و هؤلاء لا يكون منهم خير حتى لأقاربهم...
2. قسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره و نفعه و لو بإدخال الضرر و الشر على الأوطان الأخرى...، و هؤلاء شر و بلاء على غير أممهم بل و على أممهم...
3. قسم زعموا أنهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر و أنكروا وطنيات أمم كما أنكروا أديانها و عدوها مفرقة بين البشر، و هؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة.
4. قسم اعترف بهذه الوطنيات كلها...، و رتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها كل واحدة مبنية على ما قبلها و داعمة لما بعدها...، و هذا الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة، إذ هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها و على الأمة بجميع مقوماتها و تحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها.

حيث يقول ابن باديس في محاضرة بعنوان **"لمن أعيش"**: "أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي و الحاضر و المستقبل بوجه خاص و تفرض علي تلك الروابط لأجله كجزء منه فروضا خاصا و أنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل به مباشرة، و كما أنني كلما أردت أن أعمل عملا وجدتني في حاجة إليه: إلى رجاله و إلى ماله و إلى حاله و إلى آلامه و إلى آماله..."[3].

و المقصود هنا أن ابن باديس جعل من الجزائر موطنه الخاص الذي تشد بينه و بين أفراده علاقات مبنية على أساس الماضي لعيش الحاضر و التخطيط للمستقبل، و كل هذه الأزمنة أقصد الماضي و الحاضر و المستقبل مترابطة ببعضها البعض، فالجزائر حسب ابن باديس مقوم أساسي من مقومات شخصيته بالتالي فهو بحاجة دائمة و مستمرة إلى وطنه، و في ذات الصدد يقول "نحب من يحب وطننا و يخدمه، و نبغض من يبغضه و

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:103.
[2] آثار الإمام ابن باديس، ج5، المصدر السابق، ص ص:328-329.
[3] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج10، مج12، شوال1355ه، جانفي1937م، ص:427.

يظلمه، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري و تحبيب بنيه فيه، و نخلص لكل من يخلص له و نناوئ كل من يناوئه من بنيه و من غير بنيه"[1].

المبحث الثاني: الإصلاح التربوي على المستوى التطبيقي.

عند عودة الشيخ عبد الحميد ابن باديس إلى الجزائر شرع في نشاطه الإصلاحي "حيث اتفق مع البشير الإبراهيمي في المدينة المنورة أن تكون الخطوة الأولى في المشروع الإصلاحي هي التربية والتعليم و خاصة تربية النشء...، و إذا لم يبدأ من تربية الأمة و خاصة تربية نشئها و غرس الدين في نفوسها...و إلا فهو مشروع فاشل...لأن النشء هم جيل المستقبل"[2].

يتضح لنا من هنا أن ابن باديس ركز في نشاطه التربوي الإصلاحي في المجال التطبيقي على النشء بالدرجة الأولى، على اعتبار أن النشء هو الجيل الصاعد الذي يجب توعيته و تربيته و تعليمه الصحيح، و بث فيه مبادئ الدين الإسلامي، و من ثمة يمكن التعويل عليه في قيادة الأمة المسلمة.

إذن فإن "المجال التربوي من أهم ما اهتم به ابن باديس و يكفي أن نعرف بأنه سخر 27 سنة كاملة للتربية و التعليم...، فاتخذ من التربية وسيلة للإصلاح الثقافي و الاجتماعي و السياسي..."[3]، والجدير بالملاحظة أن التربية عنده تحقق التغيير و الانبعاث الصحيح في كل مجالات حياة الإنسان، فهي تمس الجانب الثقافي و الأخلاقي و الديني و الاجتماعي و غيرها من الجوانب الأخرى، و هذا ما جعله يتوجه "صوب التربية و التعليم لرفع المعاناة و تحرير الضمير، و إعادة بناء الرسالة القرآنية في نفوس الشعب و إشاعة اللغة العربية في لسانه و حياته الثقافية، و إحداث التفاعل مع القرآن من جديد..."[4]، و هكذا تكون التربية شاملة عنده.

حيث أن "نهوض الأمم و رقيها أو سقوطها و انحدارها منوط بالعلم و المعرفة و الالتزام بالأخلاق السامية؛ أي بالتربية و التعليم فإذا نجح الشعب في برامجه التربوية و التعليمية

[1] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج5، المصدر السابق، ص:173.
[2] مركز البحوث و الدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص ص:128-129.
[3] أسعيد عليوان، فلسفة ابن باديس في الإصلاح"المفهوم، المجالات و الوسائل"، المرجع السابق، ص:330.
[4] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:28.

حقق أهدافه و غاياته الحضارية، و إن أخفق تراجع عن أهدافه"[1]؛ بمعنى أن تطور الأمم و تقدمها يتحقق إلا بواسطة التربية و التعليم، و هنا نقصد بأن يكون أفراد الأمم قد تلقوا التربية الهادفة و التعليم النافع لكي يحدثوا تغيير و نهضة في أمتهم، مستهدفين بذلك التطور الشامل نحو الأفضل، و إذا حدث العكس من ذلك فإن النتيجة تكون بالتخلف و التراجع.

أولا: التربية:

جاء في القاموس الفلسفي للدكتور **جميل صليبا** أن التربية "هي تبليغ الشيء إلى كماله...، تقول: ربيت الولد، إذ قويت ملكاته، و نميت قدراته و هذّبت سلوكه حتى يصبح صالحا للحياة في بيئة معينة"[2].

أما التربية من منظور العلامة ابن باديس فهي "جهد إنساني هادف يوجه لرعاية الفرد و المجتمع، و يسعى لبناء الفكر و تثقيف العقل و تقويم الأخلاق و تقوية الدين، من أجل تحقيق الغاية التي يتطلع إليها الإنسان في حياته الفردية و الاجتماعية، و هي بلوغ الكمال الإنساني و بناء الشخصية المتكاملة"[3]؛ وهذا يدل دلالة واضحة على أن التربية تقوم بتنمية الفكر الإنساني و تهذب الأخلاق وتبث روح الإرادة و العزيمة في النفوس، كما تزود العقل بالمعارف و العلوم التي يرجع إليها في العديد من المسائل.

بالتالي فالتربية تساعد الإنسان على تحقيق الكمال في شخصيته، و في ذات السياق يقول ابن باديس: "... أن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما و عملا فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية و الاجتماعية"[4]، و منه فإن الكمال يتحقق بالقيام بما جاء في الشريعة و الأخذ به في مسيرة الحياة.

بهذا تعد التربية عند مصلحنا ابن باديس "تهدف إلى تغيير الواقع تغييرا جوهريا في كافة مناحي الحياة، نظرا لارتباطها بالظروف الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي كانت قائمة في الجزائر بحكم إخضاعها للاستعمار الفرنسي، بل و لعدم وجود منهجية تربوية تتفق مع مقومات الأمة"[5]؛ بمعنى أن التربية لما كانت مرتبطة بمختلف مجالات الحياة و الأوضاع المحيطة بها فإن هدفها الأساسي تمثل في استبدال تلك الأوضاع و الظروف إلى ما هو أحسن و أفضل.

حيث أن التربية التي يقصدها ابن باديس هي "التربية الإسلامية التي تعتبر الطريق السليم لإيجاد المجتمع الإسلامي، و إنقاض الشعب من وهدة الذوبان في الحضارة الغربية

---

[1] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:472.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، د ط، بيروت، لبنان، 1982م، ص:266.

[3] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:181.

[4] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج7-8، مج15، رجب 1357ه، أوت 1937م، ص:344.

[5] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر "محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، دار مداد، ج1، قسنطينة، الجزائر، 2009م، ص:407.

المادية"[1]، و هذه التربية التي أراد ابن باديس أن يبثها في أبناء شعبه نابعة من تربيته الإسلامية التي تلقاها منذ صغره، و رأى أنها السبيل لمنع الشعب من الانصهار في حضارة و ثقافة المستعمر الفرنسي، و التربية الإسلامية هي "التربية التي تقوم على احترام إنسانية الإنسان...، فهي تربية عقلية و جسمية و خلقية و روحية و انفعالية و اجتماعية، و تهدف في النهاية إلى إعداد الإنسان الصالح المؤمن"[2]؛ بمعنى أن التربية الإسلامية تهتم بتربية كل جوانب الإنسان لكي تجعل منه إنسانا صالحا.

ففي مجال إصلاح ابن باديس للتربية رأى ما خلفه المستعمر في عقلية و نفوس المواطنين الجزائريين من أفكار ضد الدين الإسلامي و ما نشره الطرقيين من معتقدات تخالف العقيدة، من هنا نادى ابن باديس بالتربية، هذه التربية مستمدة من التربية الإسلامية التي مصدرها القرآن الكريم والسنّة النبوية، و لما كان القرآن شاملا فإن التربية التي تعتمد عليه جاءت هي الأخرى شاملة، و في ذات الصدد يقول ابن باديس: "فإننا و الحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم و نوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم و غايتنا التي ستتحقق أن يكوّن القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم..."[3]؛ و هذا يدل على أن ابن باديس اتجه إلى القرآن و مستندا عليه في تربية الأبناء و تكوين جيل مؤمن متشبع بالقرآن الكريم.

و لما كانت التربية شاملة، نذكر هنا أبرز الميادين التي شملتها:

1) التربية العقلية:

ميز الله سبحانه و تعالى الإنسان عن الحيوان بالعقل، و هذا الأخير يعد ملكة فطرية بواسطتها يستطيع الإنسان التفكير و التدبر و التأمل، و بالعقل نصل إلى المبتغى، لذا كان ابن باديس رحمه الله يحث طلبته "على إعمال عقولهم فيما يدرسون، و أن يفكروا تفكيرا صحيحا مستقلا عن تفكير غيرهم مع الاستفادة من تفكير غيرهم"[4]؛ بمعنى أن تفكير كل فرد يختلف عن الفرد الآخر لذا وجب التطلع على أفكار الغير و الأخذ منها ما هو مفيد.

حيث أن عقل الإنسان هو "القوة الروحية التي يكون بها التفكير، و تفكيره هو نظره في معلوماته التي أدرك حقائقها... ليتوصل بها إلى إدراك أمر مجهول، فالتفكير اكتشاف المجهولات عن طريق المعلومات..."[5]؛ هذا يدل على أن التفكير يكون بالعقل الذي يساعده على معرفة الحقائق و توضيحها للوصول إلى ماهيتها، لذا فإن العقل هو المسئول عن عملية التفكير و منه وجب المحافظة عليه، وفي هذا المجال يقول ابن باديس: "حافظ على عقلك، فهو النور الإلهي الذي منحته لتهتدي به إلى طريق السعادة في حياتك"[6].

---

[1] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:171.
[2] عزت جرادات و آخرون، أسس التربية، دار صفاء، ط1، عمان، 2008م، ص:25.
[3] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج4-5، مج14، المصدر السابق، ص:291.
[4] مصطفى محمد حميداتو،عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:183.
[5] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، وزارة الثقافة، ج1، د ط، الجزائر،2007م، ص:137.
[6] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:42.

و العقل عند ابن باديس "يستعين في إدراكه و تحقيق مهامه بالنور الإلهي، و يسترشد بمنهج القرآن و السنّة حتى يتغلب على العقبات التي تعوق عمله و أداءه لوظيفته..."[1]، من هنا يتبين أن العقل يستند إلى الله و ما جاء في كتابه و سنّة نبيه لكي يتجاوز و يستطيع حل المشكلات التي يقف أمامها، و هكذا جعل ابن باديس مهمتين للعقل هما[2]:

- ❖ مهمة إدراكية: أي إدراك الآيات و الظواهر الكونية في العالم العلوي و السفلي الدال على وحدانية الله تعالى و قدرته و علمه و حكمته و لطفه و رحمته.
- ❖ مهمة كشفية: أي كشف الحقائق و الوصول إلى الحكمة في تعاون؛ لأن الحقيقة و العقل والحكمة مقدمات المنطق السليم و ميزان الصدق في المعرفة.

و الملاحظ على هاتين المهمتين أن العقل يقوم بتأمل الآيات القرآنية و إدراكها و التفكر فيما جاء فيها، و من ثمة الكشف عن جوهرها لكي يتوصل إلى المغزى منها.

و في ذات السياق يقول العلامة ابن باديس: "علينا تكريم عقولنا بتنزيهها عن الأوهام و الشكوك والخرافات و الضلالات، و ربطها على العلوم و المعارف و صحيح الاعتقادات"[3]؛ بمعنى أن تطهير العقل من كل ما يلحق به الضرر و ذلك بزرع الأفكار الصحيحة و تربيته على المبادئ الإسلامية التي ينص عليها ديننا و تزويده بالعلم و المعرفة.

2) تربية روحية نفسية:

إلى جانب اهتمام ابن باديس بالتربية العقلية اهتم كذلك بالتربية الروحية، حيث ركز "على تطهير الروح و تنزيهها عن مساوئ الأخلاق و تحليتها بمكارمها لتسمو بصاحبها نحو الكمال الإنساني"[4]؛ من هنا يتضح أنه إذا كانت نفس الإنسان طاهرة صالحة فإن الإنسان يكون صالح بطبيعة الحال، لأن نفسه هي التي تملي عليه تصرفاته التي هي انعكاس لما يوجد داخل وجدانه، و لما تكون النفس طاهرة من البراثن و المساوئ و استبدلت هذه الصفات بالمحبة و المودة و الرأفة و تحلت بحسن الأخلاق و الفضائل، فإن الإنسان الذي يحمل هذه الروح يكون إنسانا صالحا من داخله و خارجه، و بالتالي يشترط أن تكون النفس أو الروح صالحة ليكون الإنسان صالح، و هذه النفس تحقق الصلاح إلا عن طريق التربية، حيث أن التربية الروحية تكون بإبعاد الروح عن كل مظاهر الفساد و تلقينها العقائد الصحيحة.

و في ذات الصدد يقول ابن باديس: "علينا تكريم جوارحنا بتنزيهها عن المعاصي و تجميلها بالطاعات، فنتحرى بأقوالنا و أفعالنا أكرم الأقوال و أكرم الأعمال، و نترفع عن جميع الرذائل و الدنايا و نتباعد عن كل مواطن السوء و السفالة"[5]؛ و هذا يعني أن الروح

---

[1] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:543.

[2] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ص:542.

[3] عبد الحميد بن باديس تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مج1، المصدر السابق، ص:320.

[4] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:181.

[5] عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مج1، المصدر السابق، ص:320.

الإنسانية يجب أن تتحلى بطاعة الله، وذلك بالابتعاد عن المعاصي و الرذائل التي من شأنها تأثر في الروح.

إضافة إلى ذلك يقول ابن باديس: "إن صلاح الإنسان و فساده إنما يقاسان بصلاح نفسه و فسادها، و إنما رقيه و انحطاطه باعتبار رقي نفسه و انحطاطها، و ما فلاحه إلا بزكائها و ما خيبته إلا بخيبتها"[1]؛ و يتضح من قول ابن باديس أن النفس لها دور في مجال إصلاح الإنسان، فإذا كانت النفس صالحة نقية كان الإنسان على شاكلتها، إذن فإن صلاح النفس يقود إلى صلاح الإنسان و من ثمة صلاح الأقوال و الأفعال.

3) تربية جسمية بدنية:

كما اهتم ابن باديس بالتربية العقلية و الروحية نجده أولى اهتمامه أيضا إلى تربية الجسم، "ذلك أن كثيرا من الأعمال تتوقف على سلامة الأبدان و قوتها، فضعيف الجسم يقل أداؤه العقلي والاجتماعي، و بالتالي لا يكون عنصرا فعالا في مجتمعه"[2]؛ بهذا يتبين أن النشاط الذي يمارسه الإنسان مرتبط بسلامة الجسم و قدرته و طاقته، فإذا كان الجسم قوي كان الفرد قادرا على القيام بمختلف نشاطاته، أما إذا كان جسمه ضعيف خال من الطاقة و الجهد فإنه يعجز عن القيام بأعماله، و منه نقول أن قوة الجسم أو ضعفه ترتبط بالغذاء و ممارسة الرياضة "فالرياضة البدنية و الوجبات الغذائية لها دور كبير في الحفاظ على سلامة الأبدان و صحتها"[3]؛ بمعنى أن للمحافظة على نشاط الجسم و قوته على الإنسان ممارسة الرياضة و تناول الغذاء الصحي الجيد.

و يضيف ابن باديس أنه "في تقديم الأكل من الطيبات على العمل الصالح تنبيه على أنه هو الذي يثمرها، لأن الغذاء الطيب يصلح عليه القلب و البدن فتصلح الأعمال، كما أن الغذاء الخبيث يفسد به القلب و البدن فتفسد الأعمال"[4]؛ بهذا يتضح من قول ابن باديس أن الغذاء هو الذي يمد الجسم بالقوة لينجز الأعمال المطلوبة منه، و يشترط في الغذاء أن يكون غذاء صحي طيب يغذي القلب و البدن معا، و إذا صحّ الغذاء صح القلب و كذا البدن، و منه تصح الأعمال كلها و العكس صحيح و في ذات السياق يقول ابن باديس: "خلق الإنسان مركبا من روح و بدن، و إنما بقاء بدنه بالغذاء و إنما كمال روحه بالعمل فأمر الله بالأكل لبقاء البدن"[5]؛ بمعنى أن هناك علاقة تكاملية بين كل من الجسم و الغذاء و العمل.

4) تربية اجتماعية:

نجد أن هذه التربية كانت مستمدة من البيئة الاجتماعية المنحطة التي عاشتها الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي و التي شاع فيها الفقر و الجهل و انتشار شرب الخمر و فشو الجرائم...، من هذه الوضعية الاجتماعية الفاسدة أخذ ابن باديس بإصلاح المجتمع عن طريق التربية، و ذلك بنشر "الوعي القائم على العلم و الفضيلة لكافة طبقات الشعب، و أن

[1] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج1، المصدر السابق، ص:108.
[2] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:181.
[3] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج11، مج11، ذي القعدة 1354ه، فيفري 1936م، ص:589.
[5] المصدر نفسه، ص:588.

هذا الوعي هو السبيل لانتشار الأخلاق و استلهام القدوة الصالحة في كل مجال و المثل الأعلى الأخلاقي لمواجهة نواحي النقص و علاج المفاسد الاجتماعية و مواجهتها و القضاء عليها، و في مقدمتها الجهل و الجمود و ما يتبعها من مفاسد و تخلف"[1].

و منه فإن ابن باديس أخذ بالوعي كوسيلة لمحاربة ما نشره المستعمر في المجتمع الجزائري، و حسبه أن الشعب الجزائري الواعي باستطاعته القضاء على جميع المظاهر التي تسبب له ضرر و تؤدي به إلى التخلف و التراجع بدل التقدم و الازدهار، و كان ابن باديس يقوم بتوعية كل أفراد الشعب بالوضع الذي هم فيه و يعلمهم ما ينص عليه دينهم لتجاوز الوضع المعاش المتدهور و التغلب على الفساد لكي يعم إصلاح أمتهم، و هذا ما كانت ترمي إليه سياسته في المجال التربوي حيث نجدها "تستهدف تأهيل الجزائريين و تنمية قدراتهم العقلية و الاجتماعية و الخلقية و حتى الاقتصادية و السياسية من أجل البحث عن حياة أفضل، وفق استرجاع المقومات و الدفاع عن الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها..."[2].

إضافة إلى ذلك فإن ابن باديس في دراسته للمجال التربوي و إصلاحه نجده ركز على الإنسان باعتباره موضوع التربية و على المعرفة باعتبارها مادة التربية، و سوف نعرج هنا نظرته لكل من الإنسان و المعرفة و ذلك كالآتي:

أولا: الإنسان عند ابن باديس "موضوع التربية":

إن تركيز ابن باديس على الإنسان في المجال التربوي يعد ذات أهمية كبيرة لأنه اعتبر الإنسان هو الذي يقوم بعملية الإصلاح و هو الأساس في التربية، و يقصد به ذلك "الإنسان الذي يعيش في واقعنا و يتفاعل مع أحداث عصرنا، الإنسان الذي استخلفه الله في هذه الأرض و مكّنه من استثمار قدراته لتحقيق الازدهار العمراني و التقدم الحضاري الذي يعود عليه و على أمته بالخير و السعادة"[3].

و منه فإن العلامة ابن باديس جعل من الإنسان السبيل إلى تحقيق النهضة و التقدم من الأسوء إلى الأحسن و لا يتحقق ذلك إلا إذا كان الإنسان واع بما يجري من أحداث و أزمات في واقعه التي يعاني منها أفراد أمته، و يستطيع كذلك بفكره و قدراته العقلية و الوجدانية...إلخ أن يحدث تغيير في هذه الأوضاع، و هذا التغيير يشترط أن يكون تغييرا إيجابيا نحو النهضة و الازدهار، و هذا ما جعل ابن باديس يأخذ من الإنسان موضوعا للتربية التي ينشدها.

حيث يضيف ابن باديس أن "النهوض بالأمة و تطوير ظروف الحياة المادية و المعنوية هدفها الإنسان و أداتها الإنسان، لكن الإنسان الذي يستطيع الإسهام في التغيير المنشود و

[1] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص ص:509-510.

[2] أحمد مريوش، أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في النهضة الجزائرية الحديثة، مجلة التربية و الإبستومولوجيا، كنوز الحكمة، الع: الأول، بوزريعة، الجزائر،2011م، ص:140.

[3] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:204.

النهضة المتوخاة هو الإنسان الذي بلغ درجة من الكمال البشري و حقق إنسانيته"[1]؛ هذا يدل على أن الإنسان الذي يكون متكامل من فكر و روح هو الذي يمكن التعويل عليه في إقامة نهضة شاملة الجوانب، و نقصد بالإنسان الكامل ذلك الإنسان الذي تكون روحه نقية و عقيدته صحيحة تستند إلى الدين الإسلامي و فكره يحمل تربية إسلامية و أعماله موجهة إلى الله سبحانه و تعالى، و هذا هو الإنسان الكامل.

صفات الإنسان الكامل التي حددها ابن باديس:

يتحدث ابن باديس عن صفات و مميزات الإنسان الكامل(الفكر،العقيدة،الغرائز،الأعمال) و هي التي تضمن النهضة للأمة، نذكرها على النحو الآتي:

1. **الفكر:** إن ملكة الفكر هي "القوة التي كان بها الإنسان سيد العالم، و سيطر على عناصر المادة و أنواع الأحياء، و نهضته بإطلاقه للنظر في جميع المحسوسات و المعقولات و الانتقال فيها من شيء إلى شيء لتحصيل المجهول من المعلوم..."[2]؛ من هنا نستشف أن الفكر هو قوة الإنسان التي بواسطتها يستطيع التحكم في العالم، لأن الفكر هو مسير الإنسان نحو الأعمال و بالفكر الصحيح يكتشف الإنسان المجهول ليصبح معلوما، مما يجعله يكتسب حقيقة أخرى و يستفيد منها في مواقف تهمه في حياته، فالفكر يستند إلى العقل في عملية التفكير و التأمل و التدبر في الكون و يستطيع بواسطته التمييز بين الخير و الشر.
2. **الغرائز:** تعتبر الغرائز هي "العنصر المكون لبشرية الإنسان فقد بين أن ذلك يتم بمقاومة ما في أصولها من بذور شر و إنمائها في هذه الأصول من بذور خير"[3]؛ بمعنى أن الإنسان مكون من جملة الغرائز، هذه الأخيرة على نوعين؛ غرائز خيرة و غرائز شريرة، أما الأولى(الخيرة) وجب تنميتها بالطاعات و تطهير النفس و العناية بها، أما الثانية (الشريرة) فوجب التقليص منها و محاولة إماتتها، و ذلك بالرجوع إلى الإسلام و ما جاء في القرآن الكريم.

و في ذات الصدد يقول العلامة ابن باديس: "ليس الإنسان مطبوعا على الخير فقط و لا على الشر فقط و لا صقيلا غير مطبوع على شيء، بل هو بجزأيه الروحي النوراني خير محض، و لكن باتصال ذلك الجزء الروحي بهذا الجزء الترابي تكونت غرائزه، فكانت أصول خير و أصول شر، و نهضة هذه الغرائز بمقاومة ما فيه من أصول شر و إنماء ما فيه من أصول خير"[4]؛ و المقصود هنا أن الإنسان يحمل في أساسه و في روحه أصول الخير كلها، و لكن باتصاله بهذا العالم تتكون له أصول الشر، و بالتالي وجب على الإنسان التمسك بالخير و القيام به و مقاومة الشر و محاربته بالقيم الحسنة التي ترجع على الإنسان بالخير، و منه فإن صلاح الإنسان يكون بالفطرة السليمة التي لم تنحرف عن الطريق السوي و لم تتغير بفعل مؤثر بيئي أو اجتماعي.

---

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:47.
[3] فضيل عبد القادر، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:205.
[4] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:48.

3. **العقائد:** إن العقائد هي "تعبير عن عمق الإنسان و اتجاهه الروحي و الفكري و التي لا بد منها للإنسان السوي سواء كانت عقائد متعلقة بأمور الدين أو بأمور الدنيا..."[1]؛ هذا يدل على أن عقيدة الإنسان هي التي تعبر عن انتمائه الروحي و الفكري و هي التي يرتكز عليها في فهم الأمور الدينية و الدنيوية، و في هذا يقول ابن باديس: "لا بد للإنسان من عقائد يعتقدها في أمر دينه و أمر دنياه"[2]، و منه فإن توجه الإنسان نحو العقيدة أمر لازم عليه لكي يضبط ماله و ما عليه في الدنيا و الآخرة.
4. **الأعمال:** بما أن للإنسان فكر و غرائز و عقائد فإن له أعمال أيضا، و هذه الأعمال التي تخص الإنسان لها علاقة بفكره و غريزته و كذا عقيدته، بل تعتبر منبع أعماله "لأن الأعمال هي ترجمة لأفكاره و معتقداته و دوافعه، فكلما كانت هذه الأفكار و العقائد و الدوافع و الميول مستقيمة كانت الأعمال مستقيمة كذلك"[3]، و المقصود هنا أن استقامة و صلاح الفكر و الغريزة و العقيدة يؤدي حتما إلى صلاح أعمال الإنسان و استقامتها.

ثانيا: المعرفة "مادة التربية":

إلى جانب تركيز ابن باديس على الإنسان باعتباره موضوع التربية و أنه هو الذي تسقط عليه عملية الإصلاح، نجده أخذ من المعرفة مادة التربية التي يلقنها للإنسان، و المعرفة التي نادى بها ابن باديس هي "المعرفة التي ترسخ الإيمان و تعصم الاعتقادات من الانحراف و الأخلاق من الفساد و الفكر من الضلال و تفيد الإنسان في حياته الدينية و الدنيوية..."[4]؛ من هنا يتضح أن المعرفة هي التي تساعد الإنسان على تهذيب سلوكاته و تمكنه من تثقيف عقله بأمور الدين و الدنيا، و تخرجه من الظلام إلى النور و من الفساد إلى الصلاح، و منه فإن ابن باديس يركز على المعرفة التي تكون "شاملة تتجاوز المعرفة الخاصة بأمور الدين و اللغة و التاريخ إلى علوم الأكوان و العمران...، معرفة تجمع بين ما ندركه عن طريق الأدلة النقلية و ما ندركه عن طريق الأدلة العقلية و الحسية..."[5].

بالتالي فإن نظرة ابن باديس إلى المعرفة كانت نظرة شاملة تفوق المعرفة الخاصة المحصورة في معرفة الدين و لغته و تاريخه، و تجاوزها إلى المعرفة التي تضم كل من المعرفة العقلية و هي المعرفة التي نتوصل لها بالعقل و التفكير، و كذا المعرفة الدينية و هي المعرفة التي نتوصل إليها من خلال النظر في القرآن الكريم و التأمل في آياته، و بالتالي تكون المعرفة عند العلامة ابن باديس لا تقتصر على ميدان دون آخر بل هي شاملة جامعة بين ما نتوصل إليه بواسطة العقل و ما نحصل عليه بواسطة الدين.

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:206.
[2] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:48.
[3] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:207.
[4] المرجع نفسه، ص:208.
[5] المرجع نفسه، ص:209.

أما بالنسبة إلى طريقة ابن باديس في التربية فإنه كان "يرمي إلى تصحيح الفكر و صقل العقل و ترقية الروح و تقوية الخلق، و تسديد الاتجاه في الحياة، و أنه يستخرج من قواعد العلوم التعليمية قواعد الاجتماع و ينتزع منها دروسا في التربية و الأخلاق"[1].

ثانيا: التعليم:

يعرف التعليم في **القاموس الفلسفي** بأنه: "هو التدريس، و هو مقابل للتعليم، تقول: علّمته العلم فتعلم، و التعليم Didactique أخص من التربية لأن التربية تشمل نقل المعلومات إلى الطالب مع العناية بتبديل صفاته و تهذيب أخلاقه"[2]؛ من هذا التعريف يتضح أن التعليم يقابل التربية، هذه الأخيرة أشمل منه كونها تهتم بكل جوانب الفرد، أما التعليم فيزوده بالعلم النافع المفيد، و بالتربية و التعليم تنهض الأمم، هذا ما جعل ابن باديس يحث طلابه على التعليم لتحقيق المبتغى المرجو، و قبل الحديث عن التعليم الذي يراه ابن باديس مجدي و نافع للشعب الجزائري لا بد لنا أن نعرض حالة التعليم قبل ابن باديس، حيث كان هناك نوعان من التعليم و هما[3]:

تعليم فرنسي بحت: و هو تعليم حديث له معاهده و مدارسه و برامجه و كتبه و إدارته...

تعليم عربي إسلامي تقليدي: يمتاز بأنه تعليم ذو طابع ديني و لغوي، و ينهض على كاهل الشعب الجزائري من ناحيتي التمويل و الرعاية بواسطة التبرعات الشعبية العامة.

و الجدير بالملاحظة هنا أن التعليم الفرنسي كان تعليما يخص أبناء الفرنسيين فقط و الضئيل جدا من أبناء الجزائريين، هذا التعليم كان الغرض منه محو التعليم العربي لكي يحل محله تعليم فرنسي ليس للجزائري حق فيه أو بالأحرى لا يرغب الجزائري فيه، لأنه يعلّم أبنائه التعاليم الفرنسية و ما ينص عليه دستورهم و مادتهم التعليمية، أما التعليم العربي الإسلامي يستمد تمويله من أموال الشعب فإنه كان تعليم محصور في تعليم أبناء الجزائر دينهم و قرآنهم لذا نجده اتخذ الطابع الديني كسمة له.

إضافة إلى ذلك فإن هذا التعليم الديني كانت قائمة به جملة من المؤسسات و هي:

الكتاتيب القرآنية:

تعتبر الكتاتيب القرآنية عبارة عن "مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ما تتضمن حجرة أو حجرتين مهمتهما الأساسية تتمثل في تحفيظ و تعليم القرآن الكريم للصبيان و قد تكون ملحقة بمسجد كبير"[4].

---

[1] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد بن باديس، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ج1، د ط، الجزائر،2007م، ص:57.

[2] جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، المرجع السابق، ص:307.

[3] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:377.

[4] مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية و التربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، ع:14-15، ماي، ديسمبر2001م، د ص.

إن الكتاتيب القرآنية التي كانت تعمل على تعليم أبناء الجزائر نلاحظ أن "عملها يقتصر في الغالب على تحفيظ القرآن الكريم للمترددين عليها لا تخلط ذلك بتعليم أي شيء آخر بما في ذلك الفقه و الحديث و التفسير و الأدب العربي شعرا و نثرا و غيرها من علوم الدين الإسلامي و اللغة العربية"[1]؛ هذا دليل على أن الكتاتيب القرآنية كانت تحصر عملية التعليم إلا في جانب واحد و هو تعليم الأبناء القرآن الكريم و تحفيظه لهم دون أن تتوسع في المجال التعليمي إلى مواد دراسية مغايرة للقرآن، و منه فإن الكتاتيب كانت لتعليم الأطفال لا غير.

المدارس:

المعروف أن فرنسا دمرت كل المدارس الجزائرية ذلك لتحقيق هدفها المتمثل في القضاء على التعليم العربي، لهذا نجد أن المدارس تكون شبه منعدمة في القطر الجزائري آنذاك، إلا أن "المدارس العربية التي كانت قائمة في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى هي المدارس القليلة التابعة لبعض الجمعيات الثقافية مثل جمعيتي الرشدية و التوفيقية...، و كذلك المدارس الإسلامية التي أنشأتها فرنسا... لم تكن عربية خالصة و إنما هي مزدوجة في لغة التعليم بل أن حفظ اللغة الفرنسية أكبر من حفظ اللغة العربية..."[2].

يتضح من هنا أن المدارس التي كانت مهمتها نشر التعليم و التثقيف و إزالة الجمود من العقول لم تكن موجودة لأداء مهمتها بسبب السياسة الاستعمارية، و حتى المدارس المنتشرة في تلك الفترة لم تكن تنشر التعليم العربي على المستوى المطلوب بل نجدها تعمل على نشر اللغة الفرنسية في الوسط الجزائري بدل نشر اللغة العربية لغة الأم، و القليل جدا من المدارس و الذي كان تابعا لنشاط الجمعيات، و من هذه الصورة يتبين أن المدارس لا توفي التعليم حقه لكي ينهض بالجزائريين.

الزوايا:

إن الزوايا هي عبارة عن "بيت أو مجموعة بيوت بناها بعض الفضلاء لإيواء الضيوف و قراءة القرآن و ذكر الله"[3].

بهذا يكون "عمل الزوايا في القديم كان يشبه إلى حد كبير عمل الجمعيات الخيرية في عصرنا الحاضر، و هو التربية و التعليم للشباب و الأطفال و الصغار، و الوعظ و الإرشاد للكبار، و العمل على نشر الروح الدينية السليمة في النفوس و كفالة اليتامى و المساكين و استقبال المسافرين..."[4]؛ و المقصود هنا أن الزاوية و الجمعية لهما تقريبا نفس النشاط، حيث تقوم الزاوية بتقسيم المهام حسب الفئات، فكانت تجعل التربية و التعليم من نصيب الأطفال و الشباب تربيهم و تعلمهم ما ينفعهم، أما بالنسبة للكبار جعلت لهم

[1] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:378.

[2] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص ص:379-380.

[3] مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية و التربوية المعاصرة، المرجع السابق، د ص.

[4] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص ص:380-381.

الوعظ و الإرشاد و كانت تسعى إلى بث مبادئ الدين الإسلامي الصحيح في النفوس و تنقيتها من الأكدار، إضافة إلى هذا نجدها تقدم المساعدات لمن يحتاج إليها.

أما بالنسبة إلى التعليم في الزوايا كان محصورا في "حفظ القرآن الكريم و شتى المتون و الانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه و النحو و الصرف إلى آخره، على طريقة لا تؤهل الطالب للبحث و الاستنتاج و التصرف فيما يتعلم، بل نجده يتلقى كل شيء بالتسليم..."[1]، و منه فإن الزوايا كانت تعلم الطلاب إلا التعليم الديني فقط ولا تتوسع فيه إلى علوم أخرى من أجل تنمية ثقافتهم، لهذا فإن التعليم فيها تعليم تقليدي لا جديد يقدمه للمتعلم.

المساجد:

إن المسجد هو "مكان للعبادة و مدرسة لتعليم الناس القرآن و الكتابة و تحفيظهم كتاب الله...، فهي مركز إعلامي للإسلام و ملجأ لمن لا ملجأ له"[2]، بهذا يتضح لنا أن المساجد لم تكن لأداء الصلاة فقط بل كانت تأخذ مكانا للتعليم و القراءة و يتخذها الشيوخ مكانا للتدريس و نشر العلم.

و الدليل على ذلك قول العلامة ابن باديس: " المسجد و التعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام فما بنى النبي "ص" يوم استقر في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد، و لما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه و يجلس لتعليم أصحابه، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم"[3].

بهذا يتبين أنه مع ظهور الإسلام أخذ المسجد مهمتين رئيسيتين و هما:

مهمة أداء الصلوات و مهمة تعليم الأفراد القرآن الكريم و القراءة و الكتابة، و بالتالي فإن المسجد لم يقتصر في أداء الصلوات فقط بل كان يتخذ مكانا للتعليم كذلك، إذن تكون مهمته مزدوجة أحدهما يكمل الآخر.

أما بالنسبة لطريقة التدريس في هذه المؤسسات(المساجد و الكتاتيب) فإنها كانت عبارة عن "حلقة درس، حيث يجلس المعلم و يتجمع حوله مجموعة من التلاميذ، و لم يكن المعلم يستند إلى نص مكتوب بل يعتمد على ذاكرته في إلقاء الدروس، و سرعان ما بدأ في استخدام المذكرات حاليا..."[4]؛ و هذا يدل على أن عملية التدريس في هذه المؤسسات السابقة الذكر عملية تقليدية تحصر التدريس إلا في تدريس القرآن الكريم و تعليم الكتابة و تربيهم تربية دينية، و لم يكن لها شكل يميزها، بل كانت تقام على شكل حلقات دائرية بين المعلم و المتعلمين، و كان التعليم فيها كله على المعلم و لا يشارك في عملية التعلم إلا بحفظ ما ألقاه عليه المعلم.

---

[1] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع نفسه، ص:382.

[2] مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية و التربوية، المرجع السابق، د ص.

[3] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:94.

[4] مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية و التربوية المعاصرة، المرجع السابق، د ص.

إضافة إلى ذلك فإن ابن باديس يريد أن "يتجاوز الطرق العقيمة في تدريس العلوم التي لا تعد أن تكوّن عند طالبها إلا ثقافة لفظية جدلية لا تهذب سلوكا و لا تغير واقعا، بل تغرق طالبها في معارك وهمية لا يخرج منها إلا و هو خائر القوة منهك الجسد دون أن يستفيد من ذلك شيء"[1]؛ و هذا يدل دلالة واضحة على أن ابن باديس يلح على تغيير التعليم مما هو عليه من تقليد و عقم إلى تعليم أسمى يحتوي على كل مبادئ حياة الإنسان ليرتقي بنفسه و فكره و يتخطى مرحلة الجهل الذي انتشر في المجتمع.

و في ذات السياق يقول العلامة ابن باديس: "و نرى الطلاب اليوم في أكبر المعاهد كالزيتونة لا يخرج الطالب عن كتبه الدراسية إلى مطالعة شيء بنفسه، مما يكسبه علما و خبرة بالحياة فيخرج الطالب بعد تحصيل الشهادة و هو غريب عن الحياة..."[2]؛ و قول ابن باديس إن دل على شيء إنما يدل على عقم التعليم في المعاهد الدراسية بحيث لا يمد الطالب بما يحتاجه في الحياة بل يكتفي بتعليم المقرر الدراسي فقط و لا يعلمه حب المطالعة و الاعتماد على نفسه في التحصيل المعرفي، و إن صح القول فإن هذا التعليم سطحي تقليدي.

من هذه الصورة التي عليها التعليم نجد أن ابن باديس ينقد الطرائق التعليمية المعتمدة في جامع الزيتونة بقوله: "تلك الطرائق التي تعتمد التلقين أسلوبا و التحفيظ وسيلة و سرد الخرافات النحوية غاية و الكتاب المقرر عمدة لا محيد عنها فالأستاذ و الطالب كلاهما مقيد بما ورد فيه، فدور الأول هو سرد المعلومات و تقديمها جاهزة و دور الثاني هو التلقي و الحفظ"[3].

كما يوجه ابن باديس نقده إلى مناهج التعليم و ذلك بقوله: "اقتصرناه على قراءة الفروع الفقهية مجردة بلا نظر جافة بلا حكمة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفنى الأعمار قبل الوصول إليها"[4]؛ من الوضع يتضح أن ابن باديس غير راض على التعليم و لا على مناهجه، حيث يدعوا المعلمين و المتعلمين إلى التوسع في التعليم و عدم التضييق عليه في جانب دون جانب آخر و إلى تعميق النظر و الفكر فيما يتعلمونه.

و منه فإن المؤسسات التعليمية و الأساليب التي تعتمدها في التعليم أدت بابن باديس إلى نقدها لأنها في نظره لا تقدم شيء للمتعلم، و من الأساليب التي انتقدها ابن باديس بشدة و أرجع إليها أسباب الجمود الفكري نذكر منها:

- ❖ أساليب التلقين و التحفيظ و الاهتمام بالجوانب الشكلية...و الجدل النحوي العقيم الذي لا يفيد الطالب في حياته الفكرية و الدراسية، و لا يكسبه خبرة عملية تنفعه في حياته.
- ❖ الاعتماد الكلي على الكتب و أقوال المؤلفين، و النظر إليها كما لو كانت مسلمات لا يجوز مناقشتها و إبداء الرأي بشأنها.

---

[1] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:468.

[2] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، وزارة الثقافة، ج3، د ب ن، 2001م، ص:90.

[3] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:246.

[4] العطري بن عزوز، البعد الإصلاحي في الخطاب العقدي عند الإمام ابن باديس، مجلة العلوم الإسلامية و الحضارة، ع:2، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة، الأغواط، الجزائر، ماي2016م، ص ص:195-169.

- ❖ عدم استخدام الفكر فيما يعرض من مسائل و معلومات فكأن مهمة التعليم هي حشو أذهان الطلاب بكثرة المعارف التي تزخر بها الكتب و المتون.
- ❖ ضعف العلاقة التربوية التي تربط المعلم بطلابه[1].

و منه فإن الأساليب التعليمية التي كانت معتمدة تتسم بالتقليد و الجمود، و كانت تركز على الحفظ كوسيلة للتعليم و تفتقر لأسلوب الحوار و المناقشة في المسائل التعليمية، و هذا بدوره يجعل المتعلم روتيني و لا يستخدم فكره و عقله للتمعن فيما يتعلمه بل يأخذه كما هو.

و من هذه الوضعية التي عليها التعليم نادى ابن باديس بإصلاحه و النهوض بشؤونه لكي يستطيع أن يكوّن أمة متطورة مستقلة صالحة، و أن "التعليم هو الحياة و الأساس الذي يبنى عليه كل تطور، إذ التعليم عندما يختار مضمونه و تحدد أهدافه و أساليبه و يوسع مداه يستطيع أن يحقق النهضة التي تنشدها الأمة و الحياة التي تتطلع إليها..."[2].

هذا يشير إلى أن التعليم لا ينحصر إلا في الجانب الديني فقط بل يجب التوسع فيه إلى تعليم الأمور الدينية و الدنيوية معا، لأن التعليم هو الأداة المؤدية إلى التجديد و التغيير و إذا لم يكن التعليم في المستوى المطلوب لا يكون هناك أي تغيير و لا تجديد كذلك، و بالتالي لا تتحقق النهضة بل يجب تطوير برامجه الدراسية و ضبط الهدف منه و إدخال تقنيات متطورة لمواكبة العصر بواسطتها و كذا تنمية القدرة الإدراكية للمتعلمين ليستطيعوا التوسع في العلم و تقبل مختلف العلوم و المعارف.

إضافة إلى ذلك جعل ابن باديس "التعليم وسيلة التربية و السبيل إلى تحقيق أهدافها، بل قد يكون هو التربية إذا كان يستهدف التغيير و تحقيق النمو"[3]؛ و هذا يعني أنه لما كانت التربية عند ابن باديس تربية تشمل كافة الميادين و ذلك بغية النهوض بالفرد أولا و بالأمة ثانيا، و هذا يكون بالتعليم حيث اتخذه ابن باديس أداة للتربية كونهما يسعيان لتحقيق نفس الهدف، و هو تغيير الوضعية المعاشة و إصلاحها للأفضل.

إصلاح التعليم كأساس للإصلاح:

قام ابن باديس بإصلاح كلي للتعليم، إصلاح يمس المناهج و الطرائق و المحتوى، و قد تطرقنا فيما سبق إلى نقده للمناهج التي كان معمول بها سابقا، و أنها قاصرة على تأدية مهمة التعليم على أكمل وجه، لأنها تركز على جانب دون جانب آخر و تهمل الكثير من المبادئ و الأسس اللازمة للمتعلم، و بهذا يكون التعليم ناقص و جزئي، و هذا ما يرفضه العلامة ابن باديس.

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، 2008م، المرجع السابق، ص:157.
[2] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان،إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، 1998م، المرجع السابق، ص:157.
[3] المرجع نفسه، ص:158.

و في ذات السياق يقول أنه: "لن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه و مادته و صورته، فيما كان يعلم صلى الله عليه و آله و سلم و في صورة تعليمه"[1]؛ من قول ابن باديس نستشف أن صلاح التعليم مشروط بالرجوع إلى التعليم الذي كان يعلمه الرسول صلى الله عليه و سلم، و السؤال المطروح: ما الذي كان يعلمه الرسول "ص" ؟ و كيف كان يعلم؟.

و الجواب أن الرسول "ص" كان "يعلم الناس دينهم من الإيمان و الإسلام و الإحسان، كما قال صلى الله عليه و سلم في جبريل في الحديث المشهور: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم"[2].

هذا بالنسبة إلى المحتوى التعليمي أما بالنسبة لطريقة التعليم فكانت "بتلاوة القرآن عليهم"[3]؛ والملاحظ من هنا أن ابن باديس جعل من تعليم الرسول "ص" قدوة له في نشاطه التعليمي و الخروج من التعليم العقيم التقليدي إلى تعليم أشمل، لأن الإسلام جاء شامل لكل الميادين، و هذا ما أراد ابن باديس تطبيقه على التعليم الذي ينادي به.

و في ذات السياق يقول: "... ينبغي أن نربي أبنائنا كما علمنا الإسلام، فإن قصرناه فلا نلومن إلا أنفسنا..."[4]؛ من قوله يتبين أن التعليم يكون وفق التعاليم الإسلامية و مبادئ الدين الإسلامي، وإن حدث خطأ ما فإنه يكون في طريقة تعليمنا و في أنفسنا بحد ذاتها، حيث "يجب الاعتماد على القرآن و السنّة و كتب السلف الصالح بوصفها مقررات أساسية لتعليم النشء دينهم و لغتهم العربية الصحيحة و تاريخ أمتهم و الحفظ وسيلة و المسجد مكانا"[5].

من هنا يتضح أن مصدر التعليم يكون بالرجوع إلى القرآن الكريم فهما و حفظا و السنّة النبوية وكتب سلفنا الصالح، لأن المتعلم إذا استقى منابع تعليمه من هذه المصادر، فإن تعليمه يكون تعليم إسلامي مبني على أسس صحيحة صالحة.

و في نفس المجال يقول ابن باديس: "التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته و ما يستقبل من عمله لنفسه و غيره"[6]؛ والمقصود أن التعليم هو الذي يطبع المتعلم فيما يجب أن يكون عليه في المستقبل سواء في حياته أو في عمله، لذا دعا ابن باديس إلى التعليم، ذلك "التعليم الذي يثري أفكار المتعلمين و ينظم خبراتهم وينمي معارفهم و يطبعهم بالطابع الذي يكونون عليه في مستقبل حياتهم و يكسبهم مهارات و قدرات يعتمدونها في بناء حياتهم و تسيير أمورهم و تهيئتهم لخوض ميادين الحياة"[7].

---

[1] عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، مج2، ج1، ط3، الجزائر، 1997م، ص:217.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] المرجع نفسه، ص:218.
[4] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:134.
[5] مولود عويمر، أعلام و قضايا، المرجع السابق، ص:92.
[6] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:74.
[7] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، 1998م، المرجع السابق، ص:164.

و بالتالي فإن التعليم الذي أراد ابن باديس من المتعلمين تعلمه هو التعليم الذي من شأنه أن يقدم لهم منفعة في حياتهم و يكمل جوانب النقص في فكرهم و معارفهم و قدراتهم، بهذا يصبحون ملمين بالعديد من المجالات الحياتية لكي يستطيعون مواجهة العقبات التي تقف أمامهم، لأن بالعلم و التعليم يبلغ الإنسان النضج المعرفي و الفكري الذي يمكنه من حل مشكلاته.

حيث أن "التعليم عنده ليس مجرد تلقين للمعارف من غير أن يكون لذلك أساس فكري أو غاية تربوية و اجتماعية، إنما كان التعليم عنده رسالة تربوية هادفة غايتها بناء الذات الإنسانية و إعداد الفرد للحياة التي تنتظره"[1]؛ هذا يدل على أن ابن باديس لم يحصر التدريس في التلقين و حفظ ما جاء في الكتب، بل جعل له هدف تربوي يقود الإنسان إلى تكوين ذاته بالعلوم و المعارف التي تتطابق ودينه الإسلامي، و الدليل أن عملية التعليم عند العلامة ابن باديس "تتجاوز الاقتصار على تلقين المعرفة و تعليم وسائل اكتسابها إلى تربية الإنسان تربية شاملة، يلقن فيها العلم و تربي قدراته و تنمي مواهبه"[2].

بهذا أخذ التعليم في التوسع من التلقين و الحفظ إلى تربية الإنسان، هذه التربية تكون بدورها تشمل مختلف المحطات العلمية و المعرفية له، و التعليم الذي يبلغ هذا الهدف هو "التعليم الذي ينطلق من تصحيح العقيدة و تقويم السلوك و يراعي أحوال الناس الحاضرة و يبني مناهجه على أساس الربط بين العلوم الموروثة و الحقائق الحضارية المعاصرة، و يمكن المسلمين من معرفة دينهم و فهم قرآنهم و حقائق تاريخهم و الحياة من حولهم"[3].

و منه يكون التعليم عند العلامة ابن باديس هو "عمل العلماء الذي أوجبه الله عليهم، لهداية الناس و إرشادهم إلى النهج الذي رسمه الإسلام و نشر العلم و المعرفة بينهم، و بث الوعي في نفوس أبنائهم و توريثهم القيم و الأفكار التي تصلح أحوالهم و ترفع شأنهم و تنهض بأمتهم، فالتعليم هو أساس النهضة و الطريق إليها "[4]؛ يتبين لنا أن التعليم هو من مهمة العلماء التي منحها الله لهم لهداية عباده و توجيههم الوجهة الصحيحة و بتعليمهم العلم و المعرفة الإسلامية النافعة لهم و تنوير عقولهم بالدين الإسلامي و من ثمة إصلاحهم بصفة كلية باعتماد التعليم كوسيلة لإصلاح أوضاع المسلمين.

و في ذات السياق يقول ابن باديس: "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإنما العلماء من الأئمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله، و إذا فسد فسد الجسد كله، و صلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام و عملهم به، و إنما يصل إليهم هذا على يد علماؤهم فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم و ابتداع في العمل فكذلك المسلمين، فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماؤهم"[5].

---

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ص:152.
[2] المرجع نفسه، ص:162.
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[5] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4 ، المصدر السابق، ص:74.

نستشف من قول ابن باديس أن صلاح المسلمين مرتبط بصلاح علماؤهم، لأن العلماء هم الذين يعلمونهم دينهم الإسلامي و مختلف العلوم و المعارف، فإذا كان العلماء صالحين فإن تعليمهم يكون على ذلك الطريق، و منه يصلح المسلمون لأنهم إذا أخذوا العلم الصالح النافع بضرورة الحال يكونوا صالحين، و بالتالي فإن صلاح العلماء يؤدي إلى صلاح التعليم، و هذا الأخير يقود إلى صلاح المسلمين و العكس صحيح، إذا كان العلماء جاهلين بأمور الدين و غير متمكنين من التعليم وتعليمهم غير كاف للمسلم يعيشون حالة من الركود العلمي، و منه فإننا إذا أردنا إصلاح المسلمين علينا أولا أن نصلح العلماء و بصلاح العلماء يصلح التعليم.

و في ذات الصدد يقول ابن باديس: "لن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم"[1]؛ و قوله يشير إلى أن العالم الذي يكون متعلما علما صحيحا صالح نافع فهو يلقنه و يعلمه لمريديه بطريقة مباشرة وينفعهم به و يكونوا صالحين، أما إذا كان تعليم العالم و علمه غير صحيح فإن الفئة المتعلمة باعتباره قدوة لهم تكون صالحة.

أما بالنسبة إلى طريقة ابن باديس في التعليم يصفها لنا **محمد البشير الإبراهيمي** بقوله: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا و ابن باديس في اجتماعنا في المدينة في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم و إنما نربيه على فكرة صحيحة، و لو مع علم قليل فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا"[2]؛ و بهذا يتبين من طريقة ابن باديس في التعليم أنه يركز على تعليمهم المبادئ الأساسية المهمة التي تفيدهم في مستقبلهم، و منه فهو يهتم بالكيف أكثر من اهتمامه بالكم.

هذا بخصوص طريقته في التدريس، أما بخصوص الدروس العلمية التي كان يلقيها على طلابه فهي تحتوي على "التفسير للكتاب الحكيم و تجويده، و على الحديث الشريف و على الفقه...، و على العقائد الدينية و على الآداب و الأخلاق الإسلامية و على العربية بفنونها من نحو و صرف و بيان ولغة و أدب و على الفنون العقلية كالمنطق و الحساب"[3]؛ من هنا يتضح أن دروس ابن باديس كانت ملمة بمختلف العلوم و لم يدرّس علوم دون أخرى بل رأى أنها كلها واجبة للمتعلم.

إصلاح التعليم بالزيتونة:

إن إصلاح ابن باديس للتعليم لم يكن في الجزائر فقط بل نجده أيضا عمل على إصلاح التعليم في جامع الزيتونة "هذا الجامع هو عبارة عن كلية دينية يتخرج منها رجال القضاء و الفتوى و رجال الإمامة و الخطابة و رجال التعليم"[4]؛ و الملاحظ أن عمل ابن باديس في مجال إصلاح التعليم في جامع الزيتونة راجع إلى الوضعية المتردية التي يعاني منها التعليم آنذاك.

---

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص ص:136-137.

[3] عبد الحميد بن باديس، الصراط السوي، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ع:4، الإثنين19 جمادى الثانية 1352ه الموافق ل9 أكتوبر1933م ، د ص.

[4] مصطفى محمد حميداتو،عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:140.

و في هذا الصدد يقول ابن باديس: "فقد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة و نحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله و لم يكن عندنا أي شوق أو أدنى رغبة في ذلك، و من أين يكون لنا هذا و نحن لم نسمع من شيوخنا يوما منزلة القرآن من تعلم الدين و التفقه فيه و لا منزلة السنّة النبوية من ذلك"[1].

و هذا إن دل على شيء إنما يدل على أن التعليم في جامع الزيتونة لم يتطرق إلى تعليم المتعلمين القرآن الكريم و هذا ما جعل ابن باديس ينقده، و منه يقدم اقتراح فيما يخص "نوع التعليم الذي ينهض به جامع الزيتونة فقال أن جامع الزيتونة كلية دينية فلا يكون إصلاح التعليم فيه إلا على مراعاة هذا الوصف الذي هو أساسه و غايته، و الرجال الذين يتخرجون من هذا الجامع يقومون بخطط كلها دينية"[2].

و من هنا اقترح ابن باديس أن يقسم التعليم في جامع الزيتونة بتونس إلى قسمين و هما:

أولا: قسم المشاركة: و هذا القسم "تبلغ مدة الدراسة فيه ثماني سنوات، يتلقى جميع الطلبة منهجا دراسيا موحدا، يجتازون في نهايته امتحانا عاما يحصلون بعده على شهادة اقترح لها الشيخ عبد الحميد بن باديس اسم شهادة عالم مشارك"[3]، أما بالنسبة إلى المحتوى التعليمي الذي يتلقوه الطلبة في هذا القسم هو "اللغة و النحو و الصرف و البيان و تاريخ الأدب العربي و الإنشاء و تعلم حسن الأداء في القراءة و إلقاء الكلام، العقائد،الفقه، أصول الفقه،التفسير، الحديث،التربية الأخلاقية، التاريخ الإسلامي، الحساب،الجغرافيا، مبادئ الطبيعة، الفلك،الهندسة"[4].

ثانيا: قسم التخصص: و هذا القسم قسمه إلى ثلاثة فروع و هي كالآتي:

1. فرع التخصص في القضاء و الفتوى و مدة الدراسة فيه أربع سنوات[5]، أما بالنسبة إلى العلوم المدروسة فيه فهي "فقه المذهب،الفقه العام، دراسة آيات و أحاديث الأحكام، علم التوثيق،الحساب و علم الفرائض، الإطلاع على مدارك المذاهب"[6].
2. فرع التخصص في الخطابة(الوعظ و الإرشاد) و يدرسون العلوم الآتية: "صناعة الإنشاء والإطلاع على أنواع الخطب، آيات المواعظ و الآداب و أحاديثهما، السيرة النبوية بتوسع، تاريخ نشر الدعوة الإسلامية، التمرن على إلقاء الخطب الارتجالية"[7].
3. فرع التخصص في التعليم "التدريس" و يدرسون المواد التالية "التوسع في دراسة العلوم التي سوف يقومون بتدريسها بعد تخرجهم من الزيتونة، دراسة كتب التربية و علم النفس، التمرين العملي على التدريس بالقيام به فعلا"[8].

---

[1] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:76.
[2] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:506.
[3] المرجع نفسه، ص:506.
[4] المرجع نفسه، ص ص:507-508.
[5] المرجع نفسه، ص:508.
[6] المرجع نفسه، ص ص:508-509.
[7] المرجع نفسه، الصفحتين نفسهما.
[8] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع نفسه، الصفحتين نفسهما.

و يضيف ابن باديس أن إصلاح التعليم في تونس و بالضبط في جامع الزيتونة لا يقتصر على إصلاح نوعية التعليم فقط بل يجب كذلك النظر إلى المعلمين الذين يتولون هذه المهمة التربوية التعليمية، حيث يرى أن على "المعلمين في قسم الاشتراك يكونون من الحائزين على شهادة التخصص في التعليم، و كذلك المتعلمون في فرع التخصص للتعليم، و أما المعلمون في فرع القضاء و الفتوى فلا بد أن يكونوا ممن تخصصوا فيها و تخصصوا في التعليم، و كذلك المعلمون في فرع الخطابة"[1].

و الجدير بالملاحظة هنا أن ابن باديس يؤكد على أن كل تخصص و له معلمين خاصين به يقومون بتدريسه و ليس أي معلم يستطيع أن يدرس أي تخصص كان، لأن المعلم الذي لا يفقه في تخصص ما فإنه لا يقدم المحتوى اللازم للطلبة و بهذا يكون التعليم الذي لقنه لطلبته غير كاف.

تدريس ابن باديس:

اتخذ ابن باديس من الجامع الأخضر مكانا لإلقاء و نشر دروسه فهو يقول: "أما بداية تعليمي فقد كانت فيه أوائل جمادى الأولى عام 1232ه و كان ذلك بسعي من سيدي أبي لدى الحكومة فأذنت لي بالتعليم فيه بعدما كانت منعتني من التعليم"[2]؛ نستخلص من قوله أن الإدارة الفرنسية كانت تخاف من انتشار أفكار المصلح ابن باديس وسط أبناء الشعب الجزائري، لأنه كان يعمل على تفتيح عقولهم بقضية بلادهم و يعلمهم الطريق نحو النهوض بها، لهذا كانت تعرقل تعليمه و أبعدته منه إلا أنه استنجد بأبيه الذي كان له صيت آنذاك، و هو الذي أحضر له نسخة تتضمن الترخيص له بالتعليم في المسجد حيث أن "المسجد و التعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام، فما بنى النبي صلى الله عليه و سلم يوم استقر في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد و لما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه و يجلس لتعليم أصحابه، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم"[3].

بهذا يتضح أن العلامة ابن باديس كان يعلم في المسجد، و هو المكان الذي اعتمد عليه في نشر التعليم و توعية المواطنين، و هذا كان اقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم حيث قرن المسجد بالصلاة و التعليم معا، و أن التعليم كان مرتبط بالمسجد مثلما ترتبط الصلاة به.

إضافة إلى ذلك فإن العلامة ابن باديس: "استمر يتابع دروسه دون ملل لا يعرف الراحة، و يتنقل عبر الوطن و يلقي دروس الوعظ و الإرشاد في المساجد و المحاضرات في النوادي و يجمع حوله الرجال الذين يتوسم فيهم القدرة على المشاركة معه في النهضة لتغطية متطلبات التربية و التعليم ، و استيعاب أكبر قدر ممكن من التلاميذ حتى أنه كان يلقي في اليوم الواحد عشرة دروس أو أكثر..."[4].

---

[1] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:114.
[2] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج4-5، مج 14، المصدر السابق، ص:304.
[3] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:94.
[4] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص ص:177-178.

و الملاحظ على تعليم ابن باديس أنه لم يحصر دروسه إلا في المسجد بل أنه كان يعلم في أي مكان وجد فيه، و هدفه في ذلك أن يعم التعليم كل التلاميذ في الوطن الجزائري و يحقق النهضة المرجوة، و بهذا عمل جاهدا ليلا و نهارا لبلوغ هدفه و يرى أن التدريس "هو رسالة و جهاد من أجل خدمة الإنسانية و ترقيتها"[1].

و كانت فترة تدريس ابن باديس تبدأ "بعد صلاة الفجر، و يقضي طيلة نهاره مدرسا للأطفال الصغار و كان لا ينقطع إلا لصلاة الظهر، و بعدها لتناول قليل من الطعام، ثم يواصل تدريسه لهم إلى غاية صلاة العشاء فوجا فوجا، و من التاسعة ليلا إلى منتصف الليل ينتقل إلى تدريس الكبار"[2]؛ من هنا يتضح أن ابن باديس لم يكن له وقت للراحة أو وقت مخصص لحياته الشخصية بل كان كل وقته لنشر العلم و تعليم الصغار و الكبار.

إضافة إلى هذا كان يقبل على دروس الإمام ابن باديس عدد هائل من الطلبة حتى أصبح الجامع الأخضر لا يسعهم، هذا الأمر أدى بابن باديس إلى "التفكير في ضرورة فتح مدرسة لاستيعاب أفواج الطلبة المتزايد، فيكوّن مدرسة ابتدائية في بناية تقع فوق مسجد بومعزة كمرحلة أولى ثم ينقلها بعد ذلك إلى مقر الجمعية الخيرية الإسلامية التي تأسست عام1917م و لتحول سنة1960م في مرحلتها الأخيرة إلى مدرسة باسم مدرسة التربية و التعليم الإسلامية"[3]، و هي كالآتي:

مدرسة التربية و التعليم:

أن مدرسة التربية و التعليم بني قانونها على ثلاثة وجهات و هي[4]:

أولا: الوجهة التربوية: و التي تحتوي على تربية أبناء المسلمين و بناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم و لغتهم و شخصيتهم.

ثانيا: الوجهة التعليمية: تتضمن تثقيف أفكارهم بالعلم باللسانين العربي و الفرنسي و تعليمهم الصنائع.

ثالثا: الوجهة المالية: تنص على تعويد الأمة على العطاء المنظم و توسيع نطاق الجمعية بجعل الاشتراك الشهري فيها فرنكين.

حيث كان مبتغى جمعية التربية و التعليم هو "نشر الأخلاق الفاضلة و المعارف العربية و الفرنسية والصنائع اليدوية بين أبناء و بنات المسلمين"[5]؛ و الملاحظ على جمعية التربية و

---

[1] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص:1.

[2] عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر"1913م، 1940م"، المرجع سابق، ص:112.

[3] علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص ص:178-179.

[4] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:103.

[5] عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر"1913، 1940م"، المرجع السابق، ص:113.

التعليم أنها جعلت نشاطها لكلا الطرفين (الأبناء و البنات) فهي لم تتجه إلى طرف و أهملت الآخر لأنها أدركت أن تعليم الأبناء دون البنات يحدث خلل في المجتمع، بهذا نهضت لتعليمهم معا لتحقيق النهضة و القضاء على الجهل المنتشر، و كما كان تعليم ابن باديس موجها للذكور و الإناث فإنه كان كذلك في شقين أحدهما تعليم مسجدي حيث نجده اتخذ من المسجد الأخضر مكانا للتعليم، و بهذا يكون تعليمه المسجدي موجها إلى ثلاثة فئات و هي:

1) فئة الطلاب المتفرغين لتلقي العلم و الوافدين من مختلف جهات القطر.
2) عامة المواطنين الجزائريين الراغبين في دروس التثقيف العام التي تزودهم وعيا و تكسبهم معرفة و تثقف عقولهم.
3) فئة الشبان الذين رأى أنهم بحاجة ماسة إلى توعية و تكوين عام[1].

أما بالنسبة إلى التعليم المدرسي فكان بتأسيس عبد الحميد بن باديس مدرسة التربية و التعليم، حيث كان التعليم المدرسي خاص "بالبنين و البنات الصغار سواء أكانوا منتسبين إلى المدرسة الفرنسية أم غير منتسبين، لأن الغاية من هذا التعليم هي تربية الأبناء و البنات تربية عربية إسلامية تحفظ شخصيتهم و تصون لسانهم و تثقف عقولهم"[2]؛ و منه فإن تعليم مدرسة التربية و التعليم كان تعليم لكافة الفئات.

اهتمام ابن باديس بالمعلم و المتعلم كركيزة أساسية لصلاح التعليم:

إن الظروف التي يعيشها الشعب الجزائري و المرحلة المظلمة التي يتخبط فيها جعلت ابن باديس يدرك ما للعلم و التعلم من دور كبير في الخروج منها إلى مرحلة النور و الازدهار، إضافة إلى ذلك فإن عملية التعليم تعتبر عملية تفاعل بين المعلم و المتعلم في إطار الدرس أو المحتوى التعليمي، و أن المعلم هو القائد فيها لذلك فهو "أول من تتوجه العناية له في هذه العملية بصفته المعني بالدرجة الأولى بالسهر على غرس بذور التربية السليمة في نفوس الجيل"[3].

بهذا أخذ المعلم "مكانة بارزة في المشروع التربوي، و تمثل ذلك بوجه خاص في الدعوة إلى إعداده إعدادا اجتماعيا و علميا، بما يسمح لشخصيته أن تقوم على بناء مكين من القيم و أساس متين من المعرفة، و معايشة ميدانية واعية لقضايا الواقع و شؤون الحياة"[4]؛ لأن المعلم إذا كان ملم بكل هذه الجوانب فإنه يستطيع تحقيق مراميه من عمله المنوط له و يكون قدوة حسنة لطلابه، و مثالهم الذي يأخذون منه أنبل الأخلاق و أسمى المعارف و العلوم.

إضافة إلى اهتمام ابن باديس بالمعلم و أولاه دورا كبيرا في عمله التربوي الإصلاحي فإنه عنى كذلك بالمتعلمين و أخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح و بلوغ المعرفة اليقينية و بهذا

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، 2010م، المرجع السابق، ص ص:252-253.
[2] المرجع نفسه، ص:253.
[3] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص:202.
[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

"شملت إرشاداته مجموع فئات الطلبة بنين و بنات، موجها الجميع إلى أسلم المناهج في التكوين و التحصيل زارعا في نفوسهم حب المعرفة و الرغبة في الاستزادة من مناهلها"[1]؛ بمعنى أن مصلحنا كان دائما يمد يده للمتعلمين يوجه و ينصح و يصحح هذا كله لتكوين منهم جيلا صالحا متعلما.

إضافة إلى ذلك كان للمتعلم جملة من الآداب وجب التحلي بها و هي:

1. يحسن طرق التلقي.
2. يجيد وسائل التحصيل.
3. يعمل على طلب المزيد.
4. يحذر من آفة الغرور بما وصل إليه على هذه الطريقة[2].

و كانت هذه أهم الآداب التي يتحلى بها المتعلمين أثناء الدرس.

كما يحرص ابن باديس على أن تكون هناك علاقة تجمع بين المعلم و المتعلم أثناء الدرس و خارجه، و في هذا الصدد يقول ابن باديس: "على المعلم الذي يريد أن يكون من تلامذته رجالا أن يشعرهم أنه متصل بكل واحد منهم اتصالا خاصا زيادة على الاتصال العام، و أن يصدق لهم هذا بعنايته خارج الدرس بكل واحد منهم عناية خاصة في سائر نواحي الحياة، حتى يشعر كل واحد منهم أنه في طور تربية و تعليم في كفالة أب روحي يعطف عليه و يعنى به مثل أبيه أو أكثر"[3].

و هذا يدل على أن ابن باديس يوجب على المعلمين الاحتكاك بطلابهم ليس إلا في أوقات الدراسة بل في أوقات الفراغ أيضا و أن يساعدوهم في أمورهم التي تشغل فكرهم، و في هذا الإطار حرص ابن باديس على "تقديم يد العون لهم فكان يساعدهم ماديا من ماله الخاص...، كما كان إلى جانبهم معنويا في شؤون حياتهم العامة بالإشراف على رعايتهم و توجيههم فكريا بما يحرر عقولهم من الخرافة و التقليد و يحمي قلوبهم من البدع و الضلالات "[4]؛ يتضح من هنا أن ابن باديس لم تكن مساعدته للطلاب معنوية فقط بل كانت مادية أيضا.

تعليم المرأة:

إلى جانب اهتمام العلامة ابن باديس بتعليم الذكور و الإناث و الرجال و تربيتهم تربية صحيحة مرتكزة على الدين الإسلامي بالدرجة الأولى فإنه اهتم كذلك بتعليم المرأة و إزالة غبار الجهل عليها تنوير عقلها بالعلم و المعرفة، حيث نجده انطلق في نظرته للمرأة من "منظور الإسلام الذي حررها مما كانت تعاني منه في الجاهليات الأولى من مهانة و ظلم و إذلال، و من هذه القناعة يؤمن أن دور المرأة أنما هو مكمل لدور الرجل، ذلك أن

[1] المرجع نفسه، ص:204.
[2] المرجع نفسه، ص:205.
[3] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 3، المصدر السابق، ص ص:89-90.
[4] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص ص:210-211.

الوحدة البشرية لا تكمل إلا بكمال الجنسين، فهي شقيقة الرجل في الخليقة و شريكته في الحياة يشد الصلة بينهما قانون الزوجية العام"[1].

هذا يدل دلالة واضحة على أن المرأة قبل مجيء الإسلام كانت مهضومة الحقوق ليس لها أهمية في المجتمع بل جعلوها للإنجاب لا غير، لكن بظهور الإسلام أعيد الاعتبار لها و رفع عنها هذا الظلم و استعادت حقوقها المسلوبة منها.

إضافة إلى ذلك فإن الإسلام "أعطى المرأة حق التعلم و الثقافة و أباح لها أن تتعلم العلم والأدب، بل إنه يوجب عليها ما يتصل بأمور الدين لتقف على معرفة الأحكام و لتحسن القيام بالعبادات وسائر الوظائف في هذه الحياة"[2]؛ بمعنى أن الإسلام أجاز للمرأة التعليم بعدما كانت محرومة منه سابقا، ذلك بسبب الجهل و الأمية المتفشية آنذاك و تشدد أولي الأمر في هذه المسألة، حيث يشترط أن يكون التعليم الذي تتلقاه تعليما دينيا يساعدها في إنجاز أمور الحياة الدينية و إعداد البنين والبنات عليه، ليخلفوا للأمة جيل متدين يمكن الارتكاز عليه في تحقيق الرقي، و هذا ما يقودنا إلى أن "المجتمعات الإنسانية لا تنهض على المأكل و المشرب و الملبس و المسكن فحسب...فتلك حقوق مادية، أما تلك الحقوق المعنوية و الروحية فلها أهميتها في تسيير الحياة...و لا يتأتى ذلك إلا بتثقيف القلب و الروح و تهذيب العقل و تعليمه..."[3].

و منه يتبين أن النهضة تكون بتوفر كلا الحقين: المادية و المعنوية، فالمادية تضمن استمرارية الحياة و تلبية متطلباتها، أما المعنوية فهي المسئولة عن النهوض بالأمة و ذلك بالتثقيف و التعليم و تنقية القلب من الشوائب و طهارة الروح، و بالتالي فإن النهضة الإنسانية تكون بالحقوق المادية و المعنوية معا، و أن المرأة و الرجل كلا متكاملان، و الدليل قوله تعالى: **"هن لباس لكم و أنتم لباس لهن"**[4].

من هنا فإن العلامة ابن باديس يوافق نظرة الإسلام للمرأة بحكم دينه و تربيته الإسلامية، لذا أعطاها الحق في التربية و التعليم مثل الرجل، و هذا بغرض تكاتف الأيدي لتحقيق النهضة في المجتمع، و هو يقول: "إن المجتمع لا ينهض إلا بالجنسين الرجل و المرأة مثل الطائر لا يطير إلا بجناحين"[5].

بالتالي فإن العلامة ابن باديس ركز في مشروعه التربوي على تربية المرأة و تعليمها لتكون بذلك قادرة على النهوض بدورها الأسري و الاجتماعي، و كان نشاطه في هذا الإطار مزدوجا عمليا و نظريا، و هما كالآتي:

أولا: الميدان العملي: و ذلك من خلال "تخصيصه درسا يوم الجمعة من كل أسبوع يلتقي فيه بالنساء اقتداء بالرسول الأعظم محمد عليه الصلاة و السلام يعظهن و يعلمهن...، كما

[1] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، المرجع نفسه، ص: 269.
[2] محمد الغزالي و آخرون، المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم، د ط، د ت، د ب ن، ص:87.
[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[4] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية:187.
[5] آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج4، المصدر السابق، ص:13.

سعى إلى تأسيس قسم في مدرسة التربية و التعليم التي كان يرأسها و أسقط على البنات دون البنين الرسوم المدرسية"[1].

هذا يشير إلى أن ابن باديس في نشاطه التربوي التعليمي للمرأة كان يتخذ من الرسول "ص" قدوة له، فكان يعلم المرأة على طريقته كما جعل لها يوم خاص بها وحدها، وألغى الرسوم الخاصة بالدراسة عنها و هذا كله لتتمكن من الالتحاق بالمدرسة و تشجيعها على التعلم.

و في ذات الصدد يقول ابن باديس: "لا يجوز اختلاط النساء بالرجال في التعليم فإما أن يفردن بيوم...و إما أن يتأخرن عن صفوف الرجال"[2]؛ و هذا يدل دلالة واضحة على حرص ابن باديس على التفريق بين النساء و الرجال في مكان التعليم و ذلك بتخصيصه يوم لتعليم النساء لوحدهن و الرجال كذلك من أجل عدم الخلط بينهم.

ثانيا: الميدان النظري: يتمحور حول "دعوته إلى تربية المرأة و تعليمها...، و قد اتصل شخصيا بأولياء البنات في هذا الشأن و حاول إقناعهم بإرسال بناتهم إلى مدرسة التربية و التعليم و قد نجح بعض الشيء"[3]؛ يمكن القول أن ابن باديس في الزمن الذي كان فيه الآباء يخافون من إرسال بناتهم إلى المدارس للتربية و التعلم فإنه أخذ يقنعهم بمسألة تعليم البنت و تثقيفها و تربيتها.

و الملاحظ على نشاط ابن باديس في كافة المجالات أنه يجمع بين ما هو نظري و ما هو تطبيقي لذلك نجده يحقق النجاح الذي يرمي إليه.

و يضيف ابن باديس في مجال تعليم المرأة قائلا: "علينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة، و نعرفها من طريق الدين ما لها و ما عليها"[4]؛ نستشف من قوله أنه يدعو إلى تعليم المرأة الأمور التي تزيد من إسلامها و أن تفقه ما يجب القيام به و ما يجب تركه و ذلك بالأخذ بمقتضيات الدين الإسلامي.

و منه فإن المرأة المسلمة الجزائرية تتجمع فيها كل هذه الصفات من خلال "دينها و لغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا و لنا، يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية، ولا يتنكرون لأمتهم و لو تنكر لهم الناس أجمعون"[5]؛ يتضح أن للمرأة دينها الإسلامي و لغتها العربية و قوميتها الجزائرية، و هذه المبادئ لابد أن تعيها لكي تعلمها لأبنائها و يعملون من أجل الحفاظ عليها و عدم المساس بها بأي مكروه فهي متداولة من جيل إلى آخر.

[1] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص:281.
[2] مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد ابن باديس و جهوده التربوية، المرجع السابق، ص:152.
[3] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص:282.
[4] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج5، المصدر السابق، ص:429.
[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

حيث أن التعليم الذي يحث عليه ابن باديس النساء هو التعليم الذي "يناسب خلقتهن و دينهن و قوميتهن"[1]؛ و المقصود من تعليم المرأة هو تلقيها التعليم الذي لا ينافي دينها الإسلامي بل الذي يعزز و يقوي فيها روح الإيمان و الدين.

و في ذات السياق يقول ابن باديس: "تدين الأم هو أساس حفظ الدين و الخلق، و الضعف الذي نجده من ناحيتها في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تدينهن"[2]؛ بمعنى أن الأم هي الأساس في المجتمع إذا كانت متدينة دين إسلامي و ذات خلق حميدة فإن ذلك يؤثر في أبنائها و تكون قدوة لهم، أما إذا كانت الأم جاهلة بدينها الإسلامي و أهم قواعده التي يتوجب عليها أن تكون على دراية بها فإن ذلك يخلف آثار سلبية على أبنائها، بحيث أنهم ينشئوا في جو من الجهل و الأمية و يسيرون عليه، و من هنا وجب الاعتناء بالأم كما يقال: الأم مدرسة إن أعددتها أعددت جيلا بأكمله.

و منه فإن ابن باديس من أبرز المصلحين الذين دعوا إلى تعليم المرأة و رفع الجهل و الأمية عنها، لكننا نجده في المقابل يحذر من "مخاطر التعليم الأجنبي تلك التي لا تتوقف عواقبها الوخيمة على المرأة فحسب، و إنما تتجاوزها إلى الذرية و إلى المجتمع و ذلك بما تنقله المعلمة بذلك التعليم إلى عقول الناشئة من سموم المسخ و النسخ، تلك التي سرعان ما تتحول إلى نكران و تنكر للذات..."[3].

من هنا يتبين مدى استيعاب ابن باديس خطر التعليم الأجنبي الذي تنشره فرنسا و آثاره على المجتمع ككل لا على المرأة وحدها، حيث أن فرنسا عملت كل ما بوسعها لجعل التعليم في الجزائر تعليما فرنسيا محض و القضاء على اللغة الأم، لكنها فشلت في مخططها هذا بسبب تمسك الشعب الجزائري بدينه الإسلامي و لغته العربية لذلك حذر ابن باديس من نوعية هذا التعليم.

و في ذات الصدد يقول ابن باديس: "الجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا عليهن الرحمة خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها"[4]؛ قوله يشير إلى التخوف من المرأة المتعلمة تعليم بعيد أو مناف للدين الإسلامي لأنها تزرعه في أبنائها بطبيعة الحال.

و يضيف ابن باديس في نفس المجال قائلا: "إذا أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكون أمهات دينيات و لا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا و تربيتهم تربية إسلامية و إذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منهن أن يكونوا لنا عظماء الرجال..."[5].

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[2] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج8، مج 11، شعبان1354ه، نفامبر1935م، ص:449.
[3] محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند الإمام عبد الحميد ابن باديس، المرجع السابق، ص:285.
[4] آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس، ج5، المصدر السابق، ص ص:429-430.
[5] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج8، مج11، المصدر السابق، ص:449.

و المقصود أن الخطوة الأولى في إعداد الرجال تنطلق من إعداد النساء أولا، لأن النساء هن المسئولات عن رعاية وتربية أبنائهم و غرس فيهم المبادئ الأولية في طريق النمو و التحضر، و لكن إعداد النساء يتطلب تعليمهن و تربيتهن على أساس الدين الإسلامي و إذا لم يتعلموا من هذا شيء فإن الأجيال القادمة تكون على نحوهم، وبالتالي فإنهم لا يستطيعوا أن يقدموا للأمة رجالا و أبناء صالحين تستفيد منهم.

المبحث الثالث: أهداف الإصلاح التربوي.

أولا: أهداف قريبة المدى:

1) **العناية بإعداد الفرد تعليما و تربية:**

"إن إعداد الفرد يعد المسلك العملي لبناء المجتمع الراقي، و هو جوهر الأساس في إصلاح أحوال المجتمع و تطوير حياته"[1]؛ يمكن القول بأن الفرد هو أساس العملية الإصلاحية في المجتمع، فإذا صلح الفرد صلح المجتمع.

إضافة إلى ذلك فإن ابن باديس اعتبر العناية بتكوين الفرد الجزائري من مهمة المعلمين و المربين فهو يوصيهم بوصية و هي "على المربين لأبنائنا و بناتنا أن يعلموهم و يعلموهن هذه الحقائق الشرعية ليتزودوا و ليتزودون بها و بما يطبعوهم و يطبعوهن من التربية

[1] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:226.

الإسلامية العالية لميادين الحياة فيكونوا و يكن إن شاء الله تعالى مثال الطهر و العفاف و الصون للأجيال..."[1].

بمعنى أنه من واجب المربين تربية و تعليم الأبناء و البنات جميعا على أساس التربية الإسلامية، هذه الأخيرة تعزز الدين في نفس المتعلمين و تزودهم بالمعرفة الدينية التي تنقي قلوبهم و تزرع فيهم المودة و الرحمة و الأخوة و التعاون بين أفراد المجتمع ليحققوا الرقي في جميع مناحي الحياة الإنسانية و يكونوا خير مثال للجيل القادم، و بالتالي فإنه يرمي إلى إعداد الفرد إعدادا شاملا لكل ميادين الحياة.

2) **تصحيح العقائد و تقويم الأخلاق:**
"إن إعداد الفرد وفق التصور الإسلامي يتطلب العناية بمختلف مكونات شخصية الإنسان (أي بالبناء الداخلي و الخارجي) على أن تكون نقطة البداية في هذا الإعداد هي بناء وجدان المتعلم، لأن إصلاح الباطن يقود إلى إصلاح الظاهر، و هو الأصل في كل إصلاح خلقي أو ديني أو اجتماعي"[2]؛ بمعنى أن نفس أو روح الفرد هي التي يتوجب البداية منها في الإصلاح، لأن إصلاح الروح داخليا يؤدي إلى إصلاح الفرد خارجيا، و يكون ذلك إلا بواسطة غرس مبادئ الدين في النفس لتعمل وفقها و يتحلى الفرد بالسلوك الحسن كترجمة لتلك المبادئ الإسلامية.

3) **تحقيق الكمال الإنساني:**
و يقصد بالكمال الإنساني جعل الإنسان متكامل في شتى الجوانب، و كل جانب يكمل الجانب الآخر مما يجعل شخصية الفرد تخلو من مظاهر النقص و الضعف إلى مظاهر الكمال و القوة، وهذا هدف من أهداف التربية حسب ابن باديس فهو يقول: "إن كل ما نأخذه من الشريعة المطهرة علما وعملا فإننا نأخذه لنبلغ به ما نستطيع من كمال في حياتنا الفردية و الاجتماعية و المثال الكامل لذلك كله هو حياة محمد "ص" "[3]، و هذا يدل دلالة واضحة على أن بلوغ الكمال الإنساني يكون مستمد من الدين الإسلامي و العمل به في الحياة و أن تكون سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قدوة نقتدي بها في صفاته و سلوكاته و آدابه و أخلاقه، و هذا هو الكمال الذي يقصده ابن باديس.

يضيف ابن باديس أن من مسئولية التربية "أن تبعث الأمل في نفوس المتعلمين و تدفعها إلى حب العمل و المثابرة، و تزرع فيهم الطموح لنيل النجاح و تحقيق ما يصبون إليه من كمالات في حياتهم المادية و المعنوية، و توضح لهم حدود الاستطاعة البشرية و تكسبهم القدرة العلمية و العملية على بلوغ الكمال الإنساني الممكن و المشروع"[4]، فلا يتحقق الكمال في نظر ابن باديس إلا إذا اهتمت التربية بتنمية فكر الإنسان و تربية وجدانه و تهذيب سلوكه و تقوية بدنه، في هذا الصدد يقول ابن باديس: "إن الكمال الإنساني متوقف على قوة العلم و قوة الإرادة و قوة العمل، فهي أسس الخلق الكريم و السلوك الحميد"[5]؛

[1] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب،ج1، مج13، محرم1356ه، مارس1937م، ص:8.
[2] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:229.
[3] عبد الحميد بن باديس، الشهاب،ج7، مج15، رجب1358ه، أوت1939م، ص:344.
[4] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:230.
[5] المرجع نفسه، ص:231.

يتضح من قول ابن باديس أن بلوغ الفرد للكمال في الحياة يكون بالعلم و الإرادة و العمل، أي أن يكون الفرد يحرز التوافق و الانسجام بين العلم لتنوير عقله و إرادته نحو تصرف حسن و كذا العمل بما يحقق له فائدة و من ثمة يكون متكامل في حياته.

4) **تثقيف عقول الناشئة بالعلم و تحريرها من الجمود:**
يقول ابن باديس: "العلم هو وحده الإمام المتبع في الأقوال و الأفعال و الاعتقادات"[1]؛ حيث يتضح من قوله أن العلم هو المبدأ الأساسي الذي يشتد إليه الإنسان، و بالعلم يستطيع الإنسان أن يحرر عقله من البدع و الجمود الفكري، و منه كان ابن باديس يحث على التوجه إلى التعلم و الأخذ به في الحياة، لأن العلم حسبه هو الوسيلة التي تمكنه من التطور و التقدم، و به يتوصل إلى الكمال المنشود.

ثانيا: أهداف بعيدة المدى:

1) **تكوين جيل قائد في الجزائر:**
بمعنى "تكوين جيل مسلح بالعقيدة الإسلامية المتينة و الوطنية الصادقة و المعرفة العلمية الصحيحة، متشبع بالفكر الإصلاحي قادر على مقاومة الانحراف و مظاهر الجمود و الخنوع و اليأس المتفشية في المجتمع، متمكن من الإسهام في تغيير واقع أمته، و السير في الاتجاه الذي يستجيب لمتطلبات الكفاح..."[2]، و منه يتضح أن الجيل الذي يرمي ابن باديس إلى تكوينه هو جيل يكون على خلاف ما وجده في الشعب الجزائري من ركود و يأس من الحياة جراء ما فعله المستعمر من مظاهر الظلم و التجهيل و التعذيب و الابتعاد عن المبادئ الدينية الإسلامية، من هذه البيئة أخذ ابن باديس بإعداد جيل مغاير يقود الجزائر نحو النهضة و تغيير الواقع المعاش، "لكنه وجد أن هذا لن يتم له بطريقة ناجحة و فعالة إلا عن طريق التربية القائمة على أساس القرآن الكريم الذي هو أصل التربية الإسلامية و روحها "[3]، و هذا يدل على أن ابن باديس اتخذ القرآن الكريم وسيلة لإعداد و بناء الجيل الذي يكون هو مستقبل الجزائر و حاميها من كل الشرور و هذا مرده إلى أيمانه الكبير بعظمة القرآن في بناء الأفراد.

2) **خدمة الإنسانية:**
"إن تفكير ابن باديس لم يكن تفكيرا قطريا أو إقليميا ضيقا، بل كان تفكيرا عربيا و إسلاميا وإنسانيا في الوقت ذاته..."[4]؛ هذا يدل دلالة واضحة على شمولية تفكير ابن باديس حيث لم يحصر تفكيره و عمله لخدمة بلده الجزائر فقط بل كان تفكيره تفكيرا واسعا شاملا لكل الأوطان العربية الإسلامية، و كان يحث على خدمة الوطن و خدمة إنسانيته.

و يقول في ذات السياق: "إن خدمة الإنسانية في جميع شعوبها و الحدب عليها في جميع أوطانها و احترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما نقصده و نرمي إليه و

[1] عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مج1، المصدر السابق، ص:266.
[2] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:234.
[3] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:429.
[4] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:236.

نعمل على تربيتنا و تربية من ألينا إليه"[1]؛ يتضح من قوله أن التربية لابد أن تحقق الاحترام المتبادل بين الأوطان و تسعى إلى بناء الروح الإنسانية فيما بينهم وتزرع المحبة و المودة في نفوسهم بدل الكراهية و الحقد.

حيث يضيف أن "الوسيلة التي يحقق بها الغرض و ذلك أن هذه الخدمة تكون بواسطة لا مباشرة تكون بواسطة الإسلام أولا و بخدمة الوطن ثانيا، لأن الإسلام يحترم الإنسانية في جميع أجناسها..."[2].

بمعنى أن الإسلام هو الأداة الأولى الفعالة في خدمة الإنسانية جمعاء، و يلي بعدها الوطن الأم على اعتبار أن خدمة الوطن جزء من الإنسانية، و الإسلام هو الذي يدعونا إلى محبة الإنسانية و عدم التفريق بين هذا و ذاك؛ و يقول ابن باديس في ذات السياق: "أنا زارع محبة و لكن على أساس من العدل و الإنصاف و الاحترام مع كل أحد من أي جنس كان و من أي دين كان، فاعملوا للأخوة ولكن مع من يعمل للأخوة فبذلك تكون الأخوة صادقة"[3].

يقصد أن صفات المحبة و العدل و المساواة تمارس مع كل فرد على اختلاف الدين و العرق و الجنس و ما إلى ذلك، لكن المعاملة بإحسان وأخوة تكون مع من يبادلنا نفس المعاملة، أما الذين يتعاملون على أساس القوة و الظلم... فهؤلاء يستبعدهم من دائرة الأخوة.

3) المحافظة على الشخصية الإسلامية العربية في الجزائر:

حيث تمثلت الشخصية الإسلامية الجزائرية في ثلاث أمور: الدين الإسلامي، اللغة العربية، الوطن الجزائري، و هذه هي المقومات التي تقوم عليها الشخصية الجزائرية التي حاول المستعمر الفرنسي القضاء عليها بكل ما أتيح له من وسيلة، بالنسبة للدين الإسلامي حاول هدمه و ذلك باستغلال بعض رجال الطرق الذين انحرفوا عن أداء مهمتهم الأساسية التي هي نشر الدين و التعليم، أما اللغة العربية اعتبرها لغة ميتة و لزم استبدالها باللغة الفرنسية التي تخدم غاياته، و الوطن الجزائري احتل أرضه و صادر ممتلكاته لإضعاف أهالي الجزائريين.

و من هنا جعل ابن باديس من بين أهدافه التربوية المحافظة على هذه الشخصية بكل مقوماتها مجتمعة معا لذا فهو "لا يتصور مستقبلا آخر للجزائر إلا في عروبتها و إسلامها و هما ركنان أساسيان من أركان الشخصية الجزائرية الثلاثة...، فالإسلام بتراثه الروحي العظيم و العروبة بقيمها العريقة و الجزائر بماضيها المجيد و مستقبلها الزاهر..."[4]؛ بمعنى أن ابن باديس ربط هذه المقومات الثلاثة بالجزائر و لا يمكن اختزال مقوم و ترك آخر بل كلها تعبر عن شخصية الشعب الجزائري.

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج10، مج 12، المصدر السابق، ص:425.
[2] عمار طالبي، آثار ابن باديس، ج1، مج1، المرجع السابق، ص ص:105-106.
[3] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج07، مج15، المصدر السابق، ص:346.
[4] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:424.

يتجسد الدليل على ذلك في قوله الآتي: "الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة كما تكونت و وجدت كل أمم الدنيا، و لهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال و لها وحدتها الدينية و اللغوية و لها ثقافتها الخاصة و عوائدها و أخلاقها بما فيها من حسن و قبيح شأن كل أمم الدنيا"[1].

يتضح أن الجزائر مثل أي بلد آخر لها تاريخها و دينها الذي تنسب إليه و لغته التي تتحدث بها و ثقافتها التي تميزها عن باقي دول العالم كما يتحلى أفراد شعبها بأخلاق تعبر عن ثقافتهم.

4) ترقية التعليم و إصلاحه:

دمرت فرنسا كل المؤسسات التي تنشر التعليم و تثقف العقول بالعلم و المعرفة، من هذا الوضع شهد الشعب تخلفا و أمية نتيجتها السياسة الاستعمارية، من هنا أيقن ابن باديس "أن التعليم هو الدواء الشافي من الأمراض الاجتماعية و الفكرية التي تعانيها الأمة في ذلك العصر... إذ لا مخرج لها من الأزمة التي تتخبط فيها إلا بالتعليم الذي يؤسس وفق حاجياتها، و تبنى مناهجه على أسس سليمة تراعي فيها أوضاعها و أحوالها..."[2]. يتضح أن ابن باديس جعل من التعليم هو الدواء لداء المسلمين، لأن التعليم هو الذي يخرجهم من حالة الجمود و الانحطاط إلى حالة النشاط و التقدم لهذا نجده "يركز على التعليم و يجعله مسئولا عما يراه من جمود و تأخر و خمول في الفكر و ضعف في الإيمان و انحراف في السلوك، لذلك رأى أن العلاج يكمن في أساليب التربية"[3].

و الجدير بالملاحظة أن التعليم هو الذي يحدد الرقي أو الانحطاط، فإذا كان التعليم صالح فإن أوضاع الأمة تصلح بفضل العلماء، و إذا كان التعليم فاسد خاضع للتقليد و الجمود فإن العلماء القائمون به لن يستطيعوا مد الأفكار الصحيحة لتزدهر الأمة، و بالتالي فالتعليم هو وحده القادر على تحقيق التقدم أو البقاء في التخلف.

5) تحرير الفكر الإسلامي من البدع و الخرافات:

نجد أن فرنسا عملت جاهدة على تشويه فكر الفرد الجزائري و ذلك بنشر البدع و الخرافات والضلالات و ترسيخ القيم المنحلة في ذهنه من أجل أن تجعل منه فردا ينتمي لسياستها دون تردد، إضافة إلى استيلائها على رجال الطرق و جعلهم يعملون لصالحها، من هنا أخذ ابن باديس على عاتقه مهمة تحرير الفكر من كل مظاهر البدع و الخرافات و رأى أن تحقيق ذلك يكون إلا "بنشر التربية الإسلامية الصحيحة و نشر العلم و المعرفة بين عامة المسلمين الذين يستغل رجال الطرق الصوفية عاطفتهم الدينية..."[4].

---

[1] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج9، مج 13، رمضان1356ه، نفامبر1937م، ص:403.

[2] عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، المرجع السابق، ص:237-238.

[3] المرجع نفسه، ص:238.

[4] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:444.

و المقصود أن العودة إلى أسس التربية الإسلامية و فهم العلم و نشره وتلقين المعرفة الحقة بين المسلمين يمكّن من تجاوز مرحلة الجمود الفكري إلى مرحلة الحركة و الإبداع الفكري.

حيث يقول ابن باديس في ذات السياق: "بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود و الخمود و الخرافات و الأوضاع الطرقية المنحدرة للفناء و الزوال حتى أصبح القطر الجزائري كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح و ينكر الجمود و الخرافة ومظاهر الشرك القولي و العملي و أصبحت البدع و الضلالات تجد في عامة الناس من يقاومها و ينتصر عليها"[1].

بمعنى أن تمسك الأمة بالعلم و المعرفة يجعلها ترفض كل أشكال الجمود و الانحطاط والسكون و بالعلم الصحيح تتغلب على هذه المظاهر الجامدة إلى مظاهر تتسم بالحركة و الازدهار، و بالتالي فإن التعليم وحده هو الكفيل لتحقيق نهضة المسلمين بتنوير فكرهم.

6) النهوض بالجزائريين إلى مصاف الشعوب الراقية:

إن ابن باديس أوقف جل نشاطاته و أعماله من أجل بلوغ هدفه المنشود الذي يتمحور حول النهوض بالجزائريين من مرحلة الغبن و الركود إلى مرحلة التطور و الرقي التي تعيشها الدول الأخرى، و رأى أن هدفه يتحقق "بواسطة التربية و التعليم و الإصلاح الديني و الاجتماعي و نشاطه الكبير في الصحافة..."[2]، بمعنى أن تحقيق الرقي و التقدم للشعب الجزائري و الخروج من نكبة المستعمر الفرنسي و مواكبة العصر يكون بتربية المواطن الجزائري و تعليمه سبل الازدهار و طرقه و العودة به إلى الدين الإسلامي الصحيح و نبذ المظاهر السيئة التي سادت في المجتمع الجزائري بسبب الغزو الفرنسي و بهذه الوسائل كلها مجتمعة أكد ابن باديس على أن الهدف سيتحقق.

[1] عبد الحميد ابن باديس، الشهاب، ج1، مج12، المصدر السابق، ص:3.

[2] تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المرجع السابق، ص:421.

و بناء على ما سبق يمكننا القول بأن ابن باديس في نشاطه التربوي الإصلاحي ركز على الدين الإسلامي و لغته باعتبارهما أساس كل إصلاح و كذا الوطن و التربية و التعليم، وكان المنطلق من المساجد و المدارس و النوادي و الملتقيات التي كان يعقدها مع زملائه و طلابه.

حيث يعتبر هذا النشاط التربوي من أهم محطات الإصلاح التي أخذت اهتماما كبيرا في مسيرة حياة ابن باديس كمصلح أراد النهوض بالأمة الجزائرية و تحقيق الرقي و الازدهار لشعبها، فكان يربط بين التربية و التعليم و يعتبر أنه لا وجود لتربية دون تعليم و لا تعليم دون تربية لأن كلاهما يسعى إلى تحقيق الأحسن.

خـاتـمـة

خـاتمــة:

يتضح لنا من خلال هذا البحث العلمي أن شخصية مصلحنا عبد الحميد ابن باديس من بين الشخصيات الجزائرية الثرية بالعلم والمعرفة التي يشهد لها بجهودها الإصلاحية المتعددة الميادين، و ركزنا هنا على الميدان التربوي الذي كرس له ابن باديس وقته و منحه جهده.

حيث أن الإصلاح التربوي الذي قدمه ابن باديس يقوم بالدرجة الأولى على التربية و التعليم لأنهما الوسيلة الفعالة حسبه لإحداث التغيير المناسب للأمة الجزائرية و الخروج من الأزمة التي خلفها المستعمر الفرنسي آنذاك.

ومنه نتوصل إلى النتائج الآتية:

1) أن تفكير ابن باديس هو تفكير تفاعلي يشترك فيه المفكر أو المصلح مع واقع أمته و يراعي الظروف المحيطة به، و منه فإن ابن باديس نشأ و ترعرع في فترة من الظلام تعيشها الجزائر، وبالتالي هذا الوضع ولّد في نفسه حب الشغف و البحث عن إيجاد حلول لإحداث تغيير في وطنه.
2) أنه استمد فكره الإصلاحي من خلفية إصلاحية معتمدة على الدين الإسلامي، و هذا ما جعله يبني جل أفكاره الإصلاحية من القرآن الكريم و سنّة رسول الله "ص" و حاول ربطها بالحاضر.
3) أنه نادى بإصلاح كلي يشمل مختلف المجالات بداية بالدينية و الأخلاقية و الاجتماعية والتربوية و ما إلى ذلك، و هذا ما جسده فعلا على أرض الواقع و حقق فيه النجاح.
4) اعتمد على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كمنهج له لنشر العلم و المعرفة و توعية الأهالي، و ذلك يكون بالتربية و التعليم.
5) إيمانه بدور التربية و التعليم في إعادة بعث النهضة و الحركة في المجتمع الجزائري و إخراجه من حالة الجمود التي أصابته، لأنه على دراية بأن ما أصاب المجتمع الجزائري كان سببه الانحراف عن الطريق الصحيح و الابتعاد عن الدين الإسلامي بسبب ما نشرته الطرقية المنحرفة و المتأثرة بالأفكار الفرنسية، لهذا نجده ركز على التربية و التعليم في إصلاح المجتمع عن طريق إصلاح أفراده.
6) اعتناء ابن باديس بالمرأة كونها العنصر الذي حرم من التعليم في المجتمع، فسعى إلى تعليمها و تثقيفها بما يفيدها لتتمكن من تربية أبنائها التربية الإسلامية السليمة و بالشكل المطلوب، فالمرأة هي المكون الأساسي للمجتمع.
7) اعتمد ابن باديس في نشاطه الإصلاحي التربوي على جملة من الوسائل متمثلة في: المساجد والنوادي و الصحف والمجلات والمدارس وغيرها ، كما أنه دعى إلى العودة للتعليم المسجدي لأن له دور فعال في تنوير العقول و تثقيفها بالثقافة الإسلامية.
8) كما نجده انتقد الطرق والبرامج التعليمية التي كانت سائدة آنذاك ، والتي تعتمد على أسلوب التلقين و الحفظ للمتعلم فقط بل أنه دعى إلى استبدال هذه الطرائق بطرائق حديثة تركز على فهم المتعلم للمحتوى التعليمي مركزا في ذلك على تقديم القليل من العلم مع الكثير من الفهم و المعنى.

و في الأخير نرجو أن نكون قد وفينا هذه الدراسة العلمية بعض حقها من البحث والتحليل، كما نرجو أن نكون قد التزمنا بأهم قواعد المنهجية العلمية الأكاديمية.

هذا ما وفقنا الله سبحانه و تعالى إليه، فما كان فيه صواب فمن الله، وما كان فيه خطأ فمن أنفسنا.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

أولا: المصادر:

1) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، ج4، 2005م.
2) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون و الأوقاف، ج5، 2005م.
3) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، وزارة الثقافة، ج1، الجزائر، 2007م .
4) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، وزارة الثقافة، ج3، الجزائر، 2007م.
5) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، وزارة الثقافة، ج5، الجزائر، 2007م.
6) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج1، مج11، محرم 1351ه، أبريل1935م.
7) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج1، مج12، محرم 1355ه، أبريل 1936م.
8) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج1، مج13، محرم 1356ه، مارس 1937م.
9) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج10، مج12، شوال 1355ه، جانفي 1937م.
10) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج11، مج11، ذي القعدة 1354ه، فيفري 1936م.
11) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج12، مج 12، ذو الحجة 1355ه، فيفري 1937م.
12) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج3، مج14، ربيع الثاني 1357ه، جوان 1938م.
13) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج4-5، مج 14، ربيع الثاني و جمادى الأول 1357ه، جوان جوليت 1938م.
14) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج7، مج 15، رجب 1358ه، أوت 1939م.
15) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج7-8، مج15، رجب 1357ه، أوت 1939م.
16) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج8، مج11، شعبان 1354ه، نفامبر1935م.
17) عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج9، مج13، رمضان 1356ه، نفامبر1937م.
18) عبد الحميد بن باديس، الصراط السوي"لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، العدد الرابع، الاثنين19 جمادى الثانية 1352ه، الموافق ل9 أكتوبر1933م.
19) عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، اعتنى به و أخرج أحاديثه وآثاره: أبو عبد الرحمان محمود، دار الرشيد، مج1، ط1، الجزائر، 1430ه، 2009م.
20) عبد الحميد بن محمد بن باديس الصنهاجي، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع و ترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، علق عليه و أخرج آياته و أحاديثه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان، 2003م.

ثانيا: المراجع:

1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج4، ط1، بيروت، لبنان، 1996م.
2) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، ط3، الجزائر، 1982م.
3) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج4، ط1، بيروت، 1997م.
4) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع و تقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، تلمسان، 1997م.
5) أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مؤسسة الهنداوي، د ط، القاهرة، 2012م.
6) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، د ط، د ب ن، د س.
7) أحمد تيمور باشا، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، مؤسسة هنداوي، د ط، د ب ن، 2017م.
8) أحمد حماني، صراع بين السنة و البدعة، دارالبعث، د ط، ج2، الجزائر، 1984م.
9) أحمد محمد العليمي، ابن تيمية محدثا، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2002م.
10) أحمد محمود الجزار، الإمام المجدد ابن باديس و التصوف، منشأة المعارف، ط1، الإسكندرية، 1999م.
11) باعزيز بن عمر، من ذكرياتي عن الإمامين الرئيسيين بن باديس و محمد البشير الإبراهيمي، منشورات الحبر، ط2، الجزائر، 2008م.
12) بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830م إلى 1989م، دار المعرفة، ج1، د ط، د ب ن، 2006م.
13) بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح و التنوير، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1420ه، 1999م.
14) تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، موفم للنشر، ط2، الجزائر، 2003م.
15) تركي رابح عمامره، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال، ط5، الجزائر، 2001م.
16) جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، العروة الوثقى، مكتبة الشروق الدولية، ج1، القاهرة، 2002م.
17) شيماء علي جمال الدين، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الإصلاحية بالجزائر، شبكة الألوكة، د ط، د ب ن، د س.
18) صالح عوض، معركة الإسلام و الصليبية في الجزائر، دار الزيتونة، د ط، الجزائر، 16 أبريل 1989م.
19) صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية و أثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة و موقف الخصوم منها، دار ابن الأثير، ج1، ط2، الكويت، 1996م.
20) صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مركز الحضارة العربية، ط1، القاهرة، 2001م.

21) عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر"1913م،1940م"، دار الشهاب، ط1، بيروت، لبنان، 1999م.
22) عبد العزيز فيلالي، عبد الحميد بن باديس"مرحلة التحصيل و التكوين"، دار الهدى، ج1، ط1، الجزائر، 2014م.
23) عبد العزيز فيلالي، وثائق جديدة عن جوانب خفية في حياة الإمام عبد الحميد بن باديس الدراسية، د د ن، د ط، د ب ن، د س.
24) عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان،إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، د ط، الجزائر، 1998م.
25) عبد القادر فضيل، محمد الصالح رمضان، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة، د ط، الجزائر، 2010م.
26) عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر "محمد عبده و عبد الحميد بن باديس نموذجا"، دار الهدى، ج1، د ط، عين مليلة، الجزائر، 2005م.
27) عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث و المعاصر "محمد عبده و عبد الحميد بن باديس"، دار مداد، ج1، قسنطينة، 2009م.
28) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و علاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى "1931م، 1945م"، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر، د ط، الجزائر، 1996م.
29) عزت جرادات و آخرون، أسس التربية، دار الصفاء، ط1، عمان، 2008م.
30) عشيراتي سليمان، ابن باديس التحول من برزخية القول إلى حضور الفعل "ملامسة لفقه سياسة الإصلاح وإصلاح السياسة"، دار الغرب، ج2، د ط، د ب ن، د س.
31) علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة "1798م، 1914م"، الأهلية للنشر والتوزيع، د ط، بيروت، 1987م.
32) عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، مج1، ج2، ط3، الجزائر، 1997م.
33) عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الجزائرية، مج2، ج1، ط3، الجزائر، 1997م.
34) عمار طالبي، آثار ابن باديس، الشركة الوطنية، مج1، ج1، ط3، الجزائر، 1997م.
35) عمورة عمار، موجز تاريخ الجزائر، دار الريحانة، ط1، القبة، الجزائر، 2002م.
36) فريد حاجي، الإصلاح و آليته عند ابن العنابي و خير الدين التونسي خلال القرن 19م، دار الكرم، د ط، الجزائر، 2013م.
37) فهمي توفيق محمد مقبل، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح و النهضة في تاريخ الجزائر الحديث، د د ن، د ط، د ب ن، د س.
38) مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم، ط2، دمشق، 1999م.
39) محمد ابن سمينة، أسس مشروع النهضة عند عبد الحميد بن باديس، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، ج1، د ط، الجزائر، 2007م.

40) محمد الحسن فضلاء، من أعلام الإصلاح في الجزائر، د د ن، د ط، د ب ن، 2000م.
41) محمد الصالح الصديق، الإمام عبد الحميد ابن باديس من آرائه و مواقفه، دار الأمل، ط2، القبة، 2006م.
42) محمد الغزالي و آخرون، المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم، د ط، د ب ن، د س.
43) محمد الميلي، ابن باديس و عروبة الجزائر، وزارة الثقافة، د ط، الجزائر، 2007م.
44) محمد بريش، مفهوم الإصلاح أو نحو إصلاح لفهم المصطلح، مركز الحضارة للدراسات الإسلامية، د ط، القاهرة، ديسمبر2006م.
45) محمد بن محفوظ ابن المختار فال الشنقيطي، جواهر الدرر في نظم مبادئ أصول ابن باديس الأبر، أعده للطباعة و النشر: المختار بن العربي مومن، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 2005م.
46) محمد طه الجابري، جوانب من الحياة العقلية و الأدبية في الجزائر، معهد البحوث و الدراسات العربية، د ط، د ب ن، 1968م.
47) محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من عام "1340ه،1921م" إلى عام "1395ه،1975م"، عالم المعرفة، ج1، ط1، الجزائر،2013م.
48) محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، دار الشروق، ج1، ط1، القاهرة، 1993م.
49) محمد عمارة، الإمام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، دار الشروق، ط2، القاهرة، 1988م.
50) مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس و جهوده التربوية، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، ط1، الدوحة، حزيران "يونيو" 1997م.
51) مولود عويمر، أعلام و قضايا،تصدير: أبو القاسم سعد الله، دار الخلدونية، ط1، الجزائر،2007م.
52) نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي و الإسلامي و دوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ب ن، 1990م.
53) نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين و الطرق الصوفية و تاريخ العلاقة بينهما، دار الأنوار، ط2، الجزائر، 2016م.

ثالثا: المذكرات:

1) بوحمادو يونس، الدرس الحديثي عند الإمام ابن باديس منهجه و مقاصده، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص الكتاب و السنة، جامعة الجزائر1، بن يوسف بن خدة، 2015م،2016م.
2) عامر علي العرابي، الإمام عبد الحميد بن باديس و منهجه في الدعوة من خلال آثاره في التفسير و الحديث، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1408ه،1409ه.

3) عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر(1954م، 1956م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر3، 2010م،2011م.
4) مسعود جباري، الفكر السياسي عند الشيخ عبد الحميد بن باديس، رسالة ماجستير في العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، 2001م، 2002م.

رابعا: المعاجم و الموسوعات:

أ. المعاجم:

1) جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، د ط، بيروت، لبنان، 1982م.
2) جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، ط3، بيروت، لبنان، 2006م.
3) المنجد الأبجدي، معاجم دار الشروق، ط5، بيروت، لبنان، 1987م.

ب. الموسوعات:

1) علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي و سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس "موسوعة كفاح الشعوب"، دار ابن كثير، ج2، د ط، دمشق، بيروت، 2016م.
2) محمد سبيلا، نوح الهرموزي، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية و الفلسفة، منشورات المتوسط، ط1، الرباط، المغرب، 2017م.

خامسا: المجلات:

1) أحمد مريوش، أضواء على إسهامات العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في النهضة الجزائرية الحديثة، مجلة التربية و الابستيمولوجيا، العدد الأول، كنوز الحكمة، مخبر التربية و الابستيمولوجيا، بوزريعة، الجزائر، 2011م.
2) آسيا بلحسين رحوي، وضعية التعليم الجزائري غداة الاحتلال الفرنسي، دراسة نفسية و تربوية، عدد7، جامعة مولود عويمر، تيزي وزو، سبتمبر2011م.
3) أكرم بوجمعة، أوضاع الجزائر مع مطلع القرن العشرين، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية ولإنسانية، عدد28، جامعة بابل، 2016م.
4) بدر حمد العازمي و آخرون، تطبيقات التربية الإصلاحية في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة جامعة السلام، العدد السابع، ديسمبر2018م.
5) بلحداس خديجة و بوزاودة حبيب، مظاهر السياسة التعليمية في الجزائر خلال فترة الاحتلال"1962م، 1830م"، مجلة جيل الدراسات الأدبية و الفكرية، مركز جيل البحث العلمي، العام الخامس، العدد 46، نوفمبر 2018م.
6) حمدي لكحل، مشروع ابن باديس بين المحافظة على القيم و التفتح على الآخر، مجلة دراسات إنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، 2015م.
7) رشيد درغال، دور النخب في تجديد المشروع النهضوي التنموي من خلال الفكر الباديسي، مجلة عصور، العدد10، جويلية 1434ه، 2013م.

8) رندة عبد الكريم العمري،ع بد المهدي "محمد سعيد العجلوني"، موقف الإمام ابن باديس من الديموقراطية كوسيلة من وسائل الإصلاح السياسي، جامعة اليرموك، الأردن، 1439ه، 2018م.
9) شبوب محمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائرية و دورها في إعادة بعث الهوية الوطنية "1939م،1931م"، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، العدد19، الجزائر، جانفي2018م.
10) العطري بن عزوز، البعد الإصلاحي في الخطاب العقدي عند ابن باديس، مجلة العلوم الإسلامية و الحضارة، العدد الثاني، مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة، الأغواط، الجزائر، ماي2016م.
11) عليوان أسعيد، فلسفة ابن باديس في الإصلاح"المفهوم،المجالات و الوسائل"، مجلة المعيار، العدد42، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، جوان2017م.
12) عمر عبد الله نجم الدين الكيلاني، مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم، مجلة ديالي، العدد الثامن و العشرون، 2008م.
13) لخضر بن العربي عواريب، نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي الباديسي، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد الأول، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ديسمبر2010م.
14) محمد الصادق محمد الداموك، الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله و فكره الإصلاحي، مجلة الجامعة العراقية، ع3/35.
15) محمد فيلالي، أوضاع الجزائر الاجتماعية أثناء الفترة الاستعمارية، مجلة العلوم الاجتماعية، المركز الديموقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية و السياسية و الاقتصادية، عدد06، برلين، ألمانيا، أكتوبر2018م.
16) مختارية تراري، التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر من منظور الدراسات النفسية و التربوية المعاصرة، مجلة إنسانيات، عدد14- 15، ماي، ديسمبر،2001م.
17) مركز البحوث و الدراسات، التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس، مجلة البيان، عدد 189، الرياض، 1435ه.
18) نبيل بن أحمد بلهي، إعجاز القرآن عند عبد الحميد بن باديس جمعا و دراسة، مجلة تدبر، العدد الأول، السنة الأولى.

فهرس
الموضوعات

العنــوان	الصفحة
مقدمة.	**أ-ه**
الفصل الأول: **الخلفية الفكرية للعلامة عبد الحميد ابن باديس.**	**06**
تمهيد:	**07**
المبحث الأول: بيبليوغرافيا الشيخ عبد الحميد ابن باديس.	**18-08**
المبحث الثاني: مصادر فكره.	**26-19**
المبحث الثالث: أوضاع الجزائر زمن ابن باديس.	**51-27**
خلاصة الفصل.	**52**
الفصل الثاني: **فكرة الإصلاح عند عبد الحميد ابن باديس "الجذور و المفهوم و المنهج".**	**53**
تمهيد:	**54**
المبحث الأول: فكرة الإصلاح عند عبد الحميد ابن باديس من حيث الجذور.	**72-55**
المبحث الثاني: مفهوم الإصلاح عند عبد الحميد ابن باديس.	**78-73**
المبحث الثالث: المنهج الإصلاحي عند عبد الحميد ابن باديس.	**89-79**
خلاصة الفصل.	**90**
الفصل الثالث: **الإصلاح التربوي"المضامين و الأهداف".**	**91**
تمهيد:	**92**
المبحث الأول: الإصلاح التربوي على المستوى النظري.	**100-93**
المبحث الثاني: الإصلاح التربوي على المستوى التطبيقي.	**135-101**
المبحث الثالث: أهداف الإصلاح التربوي.	**143-136**
خلاصة الفصل.	**144**
الخاتمة.	**147-146**
قائمة المصادر والمراجع.	**157-149**
الفهرس.	**159**

ملخص الدراسة:

حاولنا في هذه الدراسة الموسومة ب « **فكرة الإصلاح التربوي عند عبد الحميد ابن باديس** » الاهتمام بجانب من جوانب الإصلاح ألا و هو الجانب التربوي، هذا الأخير ركز فيه مصلحنا ابن باديس على التربية و التعليم كخطوة أولى لإصلاح الجزائر و إحداث تغيير كلي و نهضة شاملة، مستندا في ذلك على الدين الإسلامي و سنّة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم.

الكلمات المفتاحية:
الإصلاح، التغيير، النهضة، التربية، التعليم، عبد الحميد ابن باديس.

Abstract:

In this study entitled « The idea of educational reform at Abdel Hamid ibn badis » we tried to take care about a part of reform, except the educational aspect, in which our interest ibn badis focused on education as a first step to reform Algerian and to bring about a Complete change and a comprehensive renaissance Based on the Islamique religion and the sunnah of our prophet Mohammed peace upon his.

Key words:

Reform, Change, Revival, Education, Education, Abdel Hamid Ibn badis.